

أمل دنقل

الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله



www.egyptsons.com

أمل دنقل

الأعمال الشعرية الكاملة

مكتبة مدبولي
القاهرة

مقدمة

الدكتور / عبدالعزيز المقالح

« أمل دنقل . . أحاديث وذكريات »

يُحَقِّقُ الطَّبْعُ مَحْفُوظَةً

الطبعة الثالثة

١٩٨٧ هـ - ١٩٨٧ م

لم تكن وفاة أمل دنقل مفاجأة لأحد من الأدباء في الوطن العربي . فقد كان كثير منهم يعيشون على أعصابهم قلقاً وانتظاراً لإعلان نبأ الوفاة ، فمنذ ثلاثة أعوام والشاعر الكبير يتعذب ويتساقط قطرة قطرة وبيضاً نبضاً ، وكان واضحاً بعد اكتشاف نوع الداء الذي انتشب أظافره في الجسد النحيل أنه لن يبرح حتى يسلمه للموت ، وأنه لا أمل في العلم ، وأن أقصى ما يقدمه للإنسان العاجز لا يزيد عن تأخير ساعة الوفاة أو إطالة أيام العذاب !!

ومن الملاحظ - ألاحظ ذلك في نفسي - أنه بالرغم

من أن وفاة الشاعر الكبير لم تكن مفاجأة إلا أن إعلانها المتأخر قد هز المشاعر وكان بمثابة صدمة عنيفة لأصدقاء الشاعر ومحبيه أفقدهم القدرة على الكتابة الشعرية أو النثرية على حد سواء ، وبما أنني أحد أصدقاء أمل دنقل واحد الذين رافقوه وقرأوه عن قرب ، فقد أفقدني النبأ المتوقع القدرة على التفكير والقدرة على الإمساك بخيوط التعبير عن ألم الوداع ، واكتفيت باسترجاع بعض الأحاديث والتقاط صور بعض الذكريات الفارقة في قاع الذاكرة ، وبعض هذه الأحاديث والذكريات يعود إلى أيام قليلة وبعضها الآخر يرجع إلى سنوات ، فقد عرفت الشاعر الراحل في أواخر الستينات وقبل أن يظهر ديوانه الأول الذي شغل به الشعراء . وقد ربطت بيننا - منذ أول لقاء - مودة كبرت مع الأيام واتسعت في رحاب الكلمة وزاد تقديري له وإعجابي به عندما أصبح شعره كله صوتاً مكرساً لقضية الشعب العربي في مصر . وبما أن الأحاديث والذكريات عن أمل دنقل الصديق والشاعر - كثيرة وحاضرة بكل وقائعها ورموزها فإنني سأحاول اختيار أقلها

وأقربها إلى الوجدان العام - ولأن النهاية دائماً هي الأقرب وهي في حد ذاتها الذاكرة التي لا تمحى فلإننا سنبدأ من النهاية .

الحديث الأخير :

حدثني صديق كان في القاهرة منذ أسابيع فقال : ذهبت إلى المستشفى الذي يرقد فيه الصديق المشترك أمل دنقل ، دخلت الجناح الذي يقيم فيه ، وسألت إحدى الممرضات عنه فأشارت بيدها نحو غرفة معينة ، فتحت الباب ونظرت داخل الغرفة باحثاً عن أمل الذي ودعته منذ خمس سنوات ، لم أجده هناك رأيت إنساناً لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي أعرفه عدت أدراجي بعد أن أغلقت الباب ورأيت وذهبت مرة أخرى إلى الممرضة لأسألها عن غرفة أمل دنقل الشاعر ، فأشارت مرة أخرى إلى نفس الغرفة ، وعدت لأفتح الباب وأفتش في جوانب الغرفة عن أمل فلم أجده وهممت بالتراجع مرة ثانية إلا أن أمل عرفني فناداني باسمي . صوته هو الذي لم يتغير ، أما

جسمه فقد صار شيئاً آخر ، أي عذاب رهيب يفوق الخيال هذا الذي تعرض له الشاعر ؟ هكذا سألت نفسي وأنا أتوجه نحو السرير الذي يرقد عليه ، وكنت قد قررت أن أتمالك وأن لا يبدو على وجهي أي تأثر أو انفعال يثير في نفسه ، ، الألم ، الأُنْهي ما كدت أراه بتلك الحال حتى انفجرت باكياً ، لكنه قابل بكائي بابتسامة عريضة ثم سألتني : لماذا تبكي ؟ اتخاف علي من الموت إنها منيتي المفضلة ، إنه الأمل الأخير ، الطبيب الذي يتفوق دائماً على أمهر الأطباء . . وواصل ابتسامته المتكسرة ، ولأحظت أن قدراً كبيراً من الشجاعة ظل يشع من ملامح وجهه الغائر . .

ومضيت مع الصديق نتجاذب أطراف الحديث وتذكر أمل دنقل القديم ، سنوات العذاب الطويل ، أيام التسكع والجوع ، خلال الفترة التي اشتدت فيها وطأة القهر والظلم والفقر والمطاردة على أمل دنقل قبل أن تشتد عليه وطأة المرض القاتل . قال لي الصديق الذي لن أذكر اسمه بسبب الفقرة التالية من الحديث : لقد كنت في

القاهرة منذ سبع سنوات ، رايت خلالها أمل دنقل أكثر من مرة وذات يوم رأيته كالعادة يذرع الطرقات بحثاً عن صديق يدفع له ثمن الغداء . وعندما رأيته توجه نحوي قائلاً : نصف جنيه ، نصف جنيه فقط ثمن الغداء .

وعندما كنت معه في المستشفى منذ أسابيع مددت يدي إلى جيبي وأخرجت خمسمائة جنيه وقدمتها إليه في خجل ، ضحك أمل دنقل من تصرفي غير المهذب ، وقال لي : اطو أوراقك يا أخي فلم أعد بحاجة إليها ، كنت منذ سنوات كما تذكر بحاجة إلى ورقة واحدة منها ، وكانت ورقة واحدة تكفي لتسعدني يوماً أو أكثر أما الآن فلا قيمة لها عندي ، إن ما في العالم من هذه الأوراق لا سز شعرة في جفني ، ولا يخفف ألم دقيقة واحدة من عذابي الطويل المرير !!

أطيف ذكرى :

كان قد نشر عدداً غير قليل من القصائد حين التقيت به لأول مرة ، لكنه لم يكن قد أصبح مشهوراً ،

وكان وثيق الصلة بشاعرين من أكبر شعراء القصيدة الجديدة في مصر هما : صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي ، وكانت علاقته بالآخر وتأثره بشعره أوضح وأصرح . وفي الأعوام الأولى التي تعرفت فيها على أمل ابتداء من عام ١٩٦٦ كان أكثر التصاقاً بحجازي وأكثر تأثراً وتقليداً لطريقته في الحياة قبل أن يصير له أسلوبه الخاص وحياته المطلقة التي زادت الظروف في تعقيدها وزادت في الوقت ذاته من عفويتها .

وكانت هزيمة حزيران ٦٧ بداية الانعطاف الحقيقية نحو الشهرة ونحو الشعر ، وليس في هذا ما عيس بعقريّة الشاعر من قريب فقد كرسّت المآسي العظيمة الشعراء العظام ، ومأساة فلسطين هي التي خلقت وكرسّت أهم شعرائنا أمثال : محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما ، وفي الأيام الأولى للنكسة أو الهزيمة كان أمل دنقل يقرأ قصيدة (زرقاء) قبل النشر وهي قصيدة جريئة أكدت خطواته على طريق الشعر ، وكانت عنواناً لأهم دواوينه (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) كنت يومئذ بجواره ،

حد تحذيره عن مجرد التلفظ بها حتى لا يناله الأذى ، لكنه لم يتردد وسارع في نشرها وجعلها بعد ذلك عنواناً لديوانه الأول ، كما قرأها في أكثر من منتدى شعري وفي أكثر من ملتقى أخوي . . وفي ما تبقى من عام ٦٧ وإلى أوائل السبعينات كانت القصيدة على كل لسان ، فليس قبلها قصيدة وليس بعدها قصيدة نالت ما نالته من الشهرة والذيع ، فقد ارتبطت بالجرح القومي الأكبر ، وكانت تعبيراً عميقاً وصادقاً عن موقف عنترة (الشعب العربي) الذي تركه الحكام في صحراء الإهمال يسوق النوق إلى المرعى ويحتلب الأغنام ويمجّر أحلام الخُصيان حتى إذا ما اشتدت الحرب وأعلنت المعركة ذهبوا إليه يستصرخون فيه روح الحمية ويدعونه إلى الدفاع عن قصورهم المضاء بالمرات وألوان الترف .

كانت القصيدة شجاعة وجارحة ، وقد وضعت الأدب الحزيراني من أول يوم في موضعه الصحيح قبل أن

بمحاول بعض الشعراء والكتاب أن يجعلوا منه شيئاً آخر ،
 فقد حاول أمل دنقل ونجح في أن يجعل منه أدب مقاومة ،
 مقاومة للأخطاء النابعة من الداخل ، ومقاومة للعدوان
 القادم من الخارج ، أدب مجالدة وتحداً لا أدب استسلام
 ولطم خدود وبكاء عاجز على اللبن المراق في صيف
 التعاسة والانكسار !! وكان لا بد لعنترة (الشعب العربي)
 أن يثبت بالدليل القاطع غيابه التام عن المعركة التي دارت
 بين السلطة التي لا يشك في وطنيتها وفي غرورها وبين
 العدو الذي لا يشك في خطره وغطرسته وتنامي أطماعه :
 أيتها النبوة المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سكوت سنة فسنة ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لي « اخرس .. »

فخرست .. وعميت .. واثمتت بالخصيان

ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان

اجتز صوفها ..

أرد نوقها ..

أنا في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان ..

ساعة أن تحاذل الكماة .. والرماة .. والفرسان ..

دعيت للميدان

أنا الذي ما ذقت لحم الضان ..

أنا الذي لا حول لي أو شان ..

أنا الذي اقصيت عن مجالس الفتيان ،

أدعى إلى الموت .. ولم أدع إلى المجالسة ..

تكلمي أيتها النبوة المقدسة ..

تكلمي .. تكلمي ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمي .. يطلب المزيد ..

أسائل الصمت الذي يخنقني .

« ما للجمال مشيها وثيذا .. !؟ »

أجندلاً يحملن أم حديدا . . !؟

(ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص ٢٨ دار العودة) .

ولم يقف الشاعر عند حدود هذه الشكوى ولا عند حدود هذه التساؤلات الفاضحة لما حدث في صبيحة الخامس من يونيو ، وهو لا يكتفي باستدعاء زرقاء اليمامة ولكنه في قصيدة أخرى كتبها في الذكرى الأولى لمناخ الهزيمة يستدعي المتنبي ويجري بينه وبين كافور حواراً ساخراً حول مصر - خولة - الفتاة العربية التي اختطفها الرومان من - أريحا - بعد أن ذبحوا شقيقها :

دسا. اني كافور عن حزني

فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة

شريدة . . كالقطة

تصيح (كافوراه . . كافوراه)

فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية

تجدد كي تصيح (واروماه . . واروماه . .)
.. لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن ! !

ويصل الانفعال مداه ، كما تصل الشجاعة أيضاً مداه في محاولته الجرئية فضح القيادة العسكرية المهلهلة ، وقد استخدم عنصر التضمين الشعري كأقوى وأجود ما يكون الاستخدام وأصبحت الأبيات المضمنة أكثر التحاماً وتداخلاً في بناء القصيدة وفي إعطائها الدلالة الرمزية التاريخية وليس كما فعل ويفعل بعض شعراء القصيدة الجديدة الذين يقومون بما يشبه عملية (اللصق واللزق) حيث يظل أسلوب التضمين سطحياً وناشزاً عن السياق الفني والنفسي ، وقد رأينا في المثال الأول كيف نجح في دمج البيت الشهير (ما للجمال مشيها وثيدا) ولتر الآن كيف ومتى ولماذا ، جاء بأبيات المتنبي في آخر قصيدته الغاضبة « من مذكرات المتنبي في مصر » وهي في رأيي من معالم شعر ما بعد حزيران :

تسألني جاريتي ان اكرتي للبيت حراسا
فقد طغى اللصوص في مصر .. بلا رادع
فقلت : هذا سيفي القاطع
ضعيه خلف الباب .. متراسا
(ما حاجتي للسيف مشهورا
ما دمت قد جاورت كافورا ؟)
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

بما مضى ؟ أم لأرضي فيك تهويد ؟
(نامت نواطير مصر) عن عساكرها
وحاربت بدلا منها الأناشيد
ناديت يا نيل هل تجري المياه دما
لكي تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عيد بأية حال عدت يا عيد ؟

لقد حقق أمل دنقل بقصائده الجريئة عن النكسة
وآثارها شهرة واسعة ، وتحقق له من النجاح في عام واحد

ما لم يتحقق له في سبع سنوات هي عمر كل محاولاته
الشعرية السابقة . كان الطريق إلى الشعر قبل ذلك طويلاً
وشاقاً أما الآن فقد صار أقصر مما كان يظن وإن كان ما
يزال أشق مما كان يتوقع وذلك بسبب الاصرار على الجنوح
إلى كتابة الشعر اللاذع ، وبسبب اجتيازه الطريق النبيل
والصعب ، طريق اشعال الحرائق في وجدان الجماهير
النائمة المهزومة ، تلك الجماهير التي كانوا وما يزالون
يتحدثون عنها في القصائد وفي الخطابات وفي الصحف كما
يتحدثون عن فتران التجارب وأرانب المعامل ولكن دون
إحساس حقيقي بما تعاني ولعل أهم ميزة يتميز بها شاعر
كبير كأمل دنقل أنه لم يكن يخاف من شيء أو يخاف على
شيء وقد ساعدته عفويته المنطلقة وطبيعته غير المنضبطة
على الاحتفاظ بنقائه وتمرده ..

أطياف حديث :

بعد ثلاثة أعوام تقريباً من وقوع الهزيمة التي مزقت

حياة العرب المعاصرين وشهرت معالم الأيام العربية ،
 رحل المناضل جمال عبدالناصر ، وكانت وفاته أو بالأصح
 كان غيابه عن الساحة العربية في مثل تلك الظروف
 المفاجعة هزيمة أخرى ، وبعد رحيل عبدالناصر بأربعين
 يوماً التقى الشعراء العرب من مختلف الأقطار العربية
 لتأبين الزعيم الراحل وفي الاستراحة الجانبية للقاعة
 الكبرى للاتحاد الاشتراكي ، كان عدد من الشعراء والنقاد
 يقطعون الوقت في انتظار لحظة افتتاح الاحتفال التأبيني ،
 وكنت قد أخذت لي مكاناً بينهم ، وكان أمل دنقل قد
 اختار مكاناً قصيباً في الاستراحة جيداً وبعيداً عن
 الآخرين ، كان يبدو متوتراً ، يكثر من التدخين وكأنه
 يلتهم السجائر التهاماً وبين حين وآخر ينظر إلى السقف
 كأنما يحاول اختراقه بنظراته الحادة . قال أحد الحاضرين
 لعله يعاني من حالة شعرية وربما كان متوحداً لأن قصيدة
 الرثاء لم تكتمل بعد ، وقال آخر ربما أن أحد الحاضرين قد
 حاول الاساءة إليه فابتعد مؤقتاً ليلدد شحنة الغضب ثم
 يعود إلينا ليملاً المكان بملاحظاته وضحكاته (وقفشاته)

المختلفة ، وانطلق صوت شاعر شاب يقول : إن أمل
 يعاني من حالة حزن حقيقي لغياب عبدالناصر ، فقد كان
 الرجل بالرغم من كل شيء الحارس الأمين للكلمة
 الشعرية منها خاصة . واستقر الحديث بعد أن جال وتنقل
 في ميادين شتى حول عبدالناصر وكيف كان يتعامل مع
 الأدباء بطريقة تختلف تماماً عن تعامله مع السياسيين
 وينحسب ذلك التعامل على الأدباء الملتزمين أو
 المنسبيين . وقد نال الشعراء بخاسة طوال عهده حظوة
 كبيرة وشملهم برعاية خاصة ، فهو لا يسمح للأجهزة
 بمصادرة أعمالهم الأدبية أو يمنعهم عن النشر والسفر ، ولم
 يكن يسمح للصحافة في مصر أن تتناول بالاساءة اياً من
 شعراء العرب الذين يختلفون مع النظام الناصري . حدث
 ذلك مع سليمان العيسى ، ومع الجواهري ، ومع
 البياتي ، ومع الفيتوري ، ونزار قباني ، وقد اشتهر لكل
 هؤلاء قصيدة أو أكثر في مهاجمة شخص عبدالناصر
 بالذات وقد ظلت القاهرة مفتوحة لهم بعد موافقهم ، كما

كانت قبل ذلك ، وقد ظهر في وقت متأخر من حياة
عبد الناصر بعض المتشاعرين الذين حاولوا من منطلق
المنافسة غير المتكافئة الاساءة والتشويه المتعمد لأدوار
ومواقف بعض الشعراء خارج مصر مما اضطر عبد الناصر
نفسه إلى أن يتدخل ويضع حداً لهذه الظاهرة المعادية
للشعر والشعراء .

كان عبد الناصر - إذن - بحسه الثوري يدرك أن
الشاعر الحقيقي في مصر أو في بقية الأقطار العربية يشكل
طاقة حدى واكتشاف خلاقه فالشاعر ليس كزرقاء اليمامة
ترى الأشياء عن بعد ولكنه يرى الأشياء والأحداث بعين
بصيرته الشعرية ويتنبأ بها قبل وقوعها وقد نشر الشعراء في
مصر قصائد تنبأت بالنكسة ونهت إلى ما حدث قبل أن
يحدث ، ونشرت الأهرام في ما تذكر قصيدة للشاعر محمد
إبراهيم أبو سنة قبل النكسة بأسابيع وكان عنوان القصيدة
(نحن غزاة مدينتنا) وكأنما كانت تقرأ ما سوف يحدث في
صحائف مكتوبة من قبل .

يكون . . لا يدرون
أن كل واحد من الماشين
به . . صلاح الدين .

كان الليل داكناً مكتئباً حين رجعنا من حفل
تأبين ، وكانت الأضواء الصفراء في الميادين والطرق قد
ردت اصفراراً وشحوباً . وكان زميلنا الذي يقود سيارته
والدموع تملأ عينيه يردد القسم الذي أطلقه أمل دنقل ،
وكان مثله يحلم بعودة سيناء ويسقوط النجمة السادسة من
فوق حائط المبكى إلى التراب . . .

« امل دنقل وانشودة البساطة في الشعر »

كان وصف (الشاعر الصعلوك) يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية المصرية كلما ذكر امل دنقل وكثيراً ما قيل هذا الوصف بحضوره فيضحك ويعتبر هذا الوصف أو اللقب إذا جاز أنه كذلك ، يعتبره تحية كريمة لشاعر معاصر ينأى بنفسه عن الاقتداء بالشعراء المدجنين شعراء الحواضر والصالونات المعطرة والبذلات الأنيقة والسيارات الفارهة . كان واحداً من موكب جليل للشعراء الصعاليك المعاصرين الذين يرغبون عن عالم المغريات المختلف وأن يظلوا خفافاً نظافاً لا تأسرهم زينة الحياة الدنيا ولا تشدهم إلا بمقدار ما تمكنهم معطيائها الصغيرة من الكتابة والابداع .

ومن حسن حظ الشعر العربي في مصر وفي بقية الأقطار العربية أن الشعراء الحقيقيين لم يرتفع بهم شعرهم أو بالأصح لم ينخفض بهم إلى مستوى البذخ المادي والترف الخيالي ، وقد أثبت الشعر على مر العصور بما في ذلك عصر الحديث أنه كفيلاً بأن لا يلحق أسراره العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الزاهدة والقلوب البريئة من التطلعات المريضة ، وقد ظلت تلك هي أبرز سمات لشعراء الحقيقيين جيلاً بعد جيل فلم تطوح بهم الرغبات الخاصة وتدفع بهم بعيداً إلى سراديب مضاء تصرفهم عن الشعر وتصرفهم عن الناس ، وإن كان قد حدث غير ذلك فهو استثناء عن القاعدة والاستثناء كما يقول المناطقة لا يعول عليه ولا يؤخذ به .

وقد كانت الصورة الشائعة عن امل دنقل هي صورة الشاعر الصعلوك ، لكنه كان صورة فريدة في صعلكته وفي محافظته على تقاليد الصعلكة الشعرية بثوبها المعاصر ، وقد سمعت من يحاول أن يقارن بينه وبين الشاعر المرحوم

عبد الحميد الديب الذي هزت أخبار بؤسه الثلاثينات والأربعينات وحفلت المقاهي والمستديات في تلك الفترة بأحاديث بؤسه وبمطارحاته وإهاجيه المتنوعة ، إلا أن الفارق بين الشاعرين كبير والفارق بين الصعلكتين أكبر ، صحيح أن البؤس الذي عانى منه الشاعران كلاهما متشابه ويكاد يكون واحداً إلا أن بؤس الأول ذاتي وناتج عن نهم شديد إلى الحياة في حين أن بؤس الآخر عام وناتج عن زهد في الحياة ، ولو أن الشاعر الأول وجد الأبواب الواسعة إلى النعيم كما وجدها الثاني لما تردد عن دخولها غير هيب ولا متحرج وهذا الفارق الأخير يكفي لمعرفة ما بين الشاعرين من تباين واختلاف وفضلاً عن هذا وذاك فإن أمل دنقل شاعر يمثل مرحلة اجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن المرحلة التي ظهر فيها عبد الحميد الديب والمهموم التي حاول التعبير عنها تختلف كذلك عن هموم المراحل السابقة كلها .

لقد انفق أمل دنقل ساعات كثيرة من حياته في

مذهبي - كما فعل عبد الحميد الديب تماماً لكن أحاديث مذهبي اختلفت والقصد من إرتياد المقهى اختلف أيضاً ، قضية التي تروق أمل دنقل ما كانت لتخطر على ذهن عبد الحميد الديب ، وإذا كانت قد خطرت على ذهنه فبقدر كبير من الغموض ، وإذا كنت قد أشرت في ما سبق من حديث الذكريات فإن شريطاً طويلاً حافلاً بالذكريات التي تتواكب من قاع الأيام الراحلة ، ولعل أكثرها بروزاً ووضوحاً صورة أمل دنقل في بيته أو بالأصح في إحدى الشقق الكثيرة التي استأجرها الواحدة بعد الأخرى لتكون مقراً للنوم . كانت واحدة منها شقة أرضية من غرفتين في ميدان المعجزة استأجرها لفترة وعاش فيها مع زميله الصديق الشاعر حسن توفيق ، وقد زرتهما في هذه الشقة عشرات المرات رافقي في معظم تلك الزيارات الصديق الشاعر محمد الشرفي أثناء عمله في سفارتنا بالقاهرة ، وقد اعتدنا أن نذهب إلى الشقة قبيل الغروب ، وفي كل مرة كنا نرى أمل دنقل إما نائماً أو مشغولاً باعداد طعام الغذاء

مع زميله ، وكنا نقضي فترة انتظارهما للطعام في حديث
عن الشعر والأدب وفي قراءة بعض القصائد وكان الغداء
متواضعاً في كل يوم ولا يزيد عن البطاطس وأرغفة الخبز
وبعض الأوراق الخضراء . وكثيراً ما امضينا الساعات
الطويلة بعد أن يتناول الشعاران البائسان غداءهما أو
عشاءهما في أحاديث أدبية ، وفي معظم الأحيان كنا نتوجه
إلى دار الأدباء أو إلى منزل الصديق محمد الشرقي لقضاء
سهرة أدبية لا تقتصر على أمل وزميلة ، إذ غالباً ما ينضم
إليها صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغيرها
من الأدباء والشعراء الكبار الذين يضيئون الليالي
بأحاديث الفكر والأدب وبروائع الشعر ، ولعل الفترة التي
قضاها أمل دنقل في شقة ميدان العجوزة أسوأ فترات
حياته وأحفلها بالمتاعب وانتفاء الاستقرار وقد وصل الحال
به وبزميله الشاعر حسن توفيق إلى أن يتبادلا ارتداء قميص
واحد في الحفلات والسهرات ولعدة أشهر ، فإذا خرج
أحدهما انتظر الآخر في المنزل حتى يعود زميله ، والغريب

مع زميله من ذلك الحال وربما بسببه فقد كانت تلك
سنوات هي أخطر وأهم سنوات الانتاج الشعري وأهم
سنوات المواجهة الحادة بالكلمة ، وفي هذه الفترة كتب أمل
عدد قصائده وأجملها واكتسب شهرة فائقة قفزت به من بين
شعراء الشباب إلى مستوى صلاح عبدالصبور وأحمد
عبدالمعطي حجازي إن لم تكن قد تجاوزت به هذين
شاعرين الكبارين . وكانت قصيدته (أغنية الكعكة
الحجرية) حدثاً في تاريخ الشعر السياسي في مصر وفي
شعر العربي بأجمعه ، وقد كتبها وسط مظاهرات الطلاب
ومصادماتهم الشهيرة مع شرطة النظام في عام ١٩٧٢ م
ومن هنا هذا المقطع الذي يخاطب الشاعر فيه مصر التي
ارتعشت يومئذ من خلال مظاهرات الطلاب وتلمل
الشعب :

اذكريني !!

فقد لوثنني العناوين

في الصحف الخائنة

لوثنني لاني منذ الهزيمة لا لون لي

غير لون الضياع

قبلها كنت اقرأ في صفحة الرمل

والرمل أصبح كالعملة الصعبة

الرمل أصبح أبسطه تحت اقدام جيش الدفاع !

فاذكريني ، كما تذكرين المهرب والمطرب العاطفي ..

وكاب العقيد ... وزينة رأس السنة

اذكريني إذا نسيتني شهود العيان

ومضبطة البرلمان

وقائمة التهم المعلنة

الوداع !

الوداع !

..

(من ديوان العهد الآتي) .

انشودة البساطة :

كان أمل دنقل شاعر البساطة في زمن التعقيد

والغموض ، وأول ما يلفت الانتباه في قصائده البساطة

الحادة المصقولة التي تتحول إلى انشودة مفرطة التواضع

« وانشودة البساطة » تعبير حديث اطلقه بين شباب الكتاب

وشعراء الكاتب الفنان يحيى حقي ، والبساطة عند ذلك

شيخ الوقور - كما فهمها جيل أمل دنقل - لا تعني التمرد

عن القواعد اللغوية او الخروج على الأسس الفنية للكتابة ،

ولا تعني الرقة والتبسيط ، إنما تعني تلقائية تناول أو عفوية

تعبير ، والابتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ،

وتحويل العمل الأدبي من شعر لا يفهم محتواه سوى نفر

قبل من الكتاب .. إلى أنشودة جماعية وإلى لغة فن

ووجدان . ومن السهل جداً أن يتبع المتلقي فضلاً عن

المدارس تجربة أمل دنقل الشعرية وأن يتبين ملامح القراءة

في هذه التجربة التي تختلف عن تجربة الآخرين من زملائه

ومن الشعراء الذين سبقوه وقد ظلت تجربته متميزة منذ

البداية الصحيحة إلى أن توقفت مع الوفاة . وكانت

بساطته في تناول تجعله يرى أن الفرار من المباشرة لا يعني

الفرار من المحيط المباشر للواقع ، ولا تعني الفرار من

مواجهة العذاب الانساني والخراب والدمار والتشويه ،

وهذا الموقف جعله لا يقيم كبير وزن لما يسمى بالألفاظ

الشعرية ، أو بالمعاني المعقدة ، وهو في نثره القليل الذي تضمنته مقابلاته المنشورة في الصحف والمجلات لا يكف عن الهجوم السافر الحاد على كثير من شعراء القصيدة « المتجاوزة » وهو يرى أن معظم التجاوز يقف عند دائرة اللغة وحدها وعند الشكل وحده وهو يعتقد أن ذلك الصنع لا يزيد عن كونه نوعاً من الهروب عن مواجهة الواقع « ولأن فقدان الثقة عند الشاعر في تغيير هذا الواقع قد أدى به إلى أنواع من استجلاب وسائل فنية في ظل حضارة مختلفة ومحاولة فرضها على المجتمع الثقافي - العربي ، ومن هنا تحول الشعر الحديث إلى شعر مثقفين ، في حين أن وظيفته الأساسية هي في ارتباطه بالناس . وقد كان انتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعاً إلى ارتباطه بالناس ، وتحاويلهم بالتالي معه ، وتخليهم عن الشكل القديم . . وما يؤدي إليه هذا التجاوز الحديث عن المطلقات . . ومن هنا فإن هذا التجاوز للواقع يحتاج إلى تجاوز للطرائق الفنية التي يتم بها التعبير عن هذا الواقع ، واستحداث طرائق بديلة واستجلاب لمذاهب فنية ، أو

جوء إلى الايهام بمحاولة تغيير الواقع أو الايهام بالثورة عن طريق ثورة شكلية فقط . . . الشعر لا يلقي أسراراً العميقة ولا يضع ناره المقدسة إلا في النفوس الواجدة وفي القلوب البريئة من التطلعات المريضة « أي تكون الثورة على مستوى الشكل فقط .
(ندوة مجلة فصول عن قضايا الشعر المعاصر المجلد الأول العدد الرابع يوليو ١٩٨١ م) .

ومهما يكن نصيب وجهة النظر هذه من الخطأ أو الصواب فإن وراءها موقف شاعر كبير يدرك أنه خارج من احزان أمة كبيرة أسيرة اخطبوط خطير هائل من المعاناة والمشاكل ولا بد من أن تحس بالخطر الذي يتهدها ، ومهمة الشاعر بالذات أن يوصل هذا الاحساس إلى وعي الأمة وأن لا تتحول قصائده إلى مفردات قاموسية مجردة عن أي معنى أو إلى معان مطلقة تسعى إلى تخدير الوعي وامانة الحواس بدلاً من ايقاتها ، وفي مرحلة الهوان والانحطاط كالمرحلة التي نعيشها الآن لا بد أن يتخلى الشاعر عن

الوقوف في دائرة الأحلام الذاتية وقبل أن يحاول التحرر من القوالب الميتة أو التي يراها كذلك عليه أن يتجنب الوقوع في ما هو أخطر من هذه القوالب كالشكلية وتزييف الواقع ، تلك هي بساطة أمل دنقل التي جعلت من شعره صوتاً عميقاً وبسيطاً ، ومن المهم قبل ذلك وبعد ذلك أن نعلم أنه هو نفسه قد كان انشودة من البساطة والتواضع .

تمجيد التمرد في زمن الخنوع :

قضية الاساءة إلى الشعراء وتكفيرهم ومحاولة الانتقام من كبارهم تحت مختلف الادعاءات ، قضية شغلت الجانب الأكبر من تاريخ الشعر العربي ، ولم يسلم في الماضي من تهمة الزندقة والاتحاد سوى صغار الشعراء ومن لا وزن لهم في الحياة والشعر على السواء . وقد شغلت هذه القضية عدداً من الباحثين ، وقد تلقيت منذ وقت قصير رسالة من باحث صديق تشغله القضية وبعد عنها رسالة دكتوراه ، يعكف عليها منذ خمسة أعوام . وقد لخص الهدف الذي يسعى إليه من دراسته بمحاولة التعرف

على الأسباب الكامنة وراء محنة الشعراء ولماذا الشعراء - ذات ، وقد رأى من خلال البحث الموضوعي القاء على التزاوة والصراحة - وهو يكتب الشعر - رأى أن كثير من التهم التي توجهت نحو الشعراء قد كانت موجهة في الوقت ذاته نحو الفلاسفة ورجال الدين وأصحاب المذاهب والمتكلمين ولكنها كانت مع الشعراء - عب العصور - أكثر حدة فلم تذبح التهم الكبيرة فيلسوفاً وإنما قادت إلى قتل رجل دين لكنها قتلت كبار الشعراء ، لماذا هذا هو السؤال الذي يبحث صديقي في رسالته للدكتوراه عن الاجابة عليه وهو يتلمسه عند عدد من الشعراء لاهياء وعند بعض الأدباء الذين تورقهم المحنة التي سحبت إلى عصرنا من سلبيات العصور القديمة .

تذكرت محنة الشعراء هذه الأيام وأنا أعيش ذكريات محنة صديقي الشاعر أمل دنقل فقد عانى بالإضافة إلى محنة الفقر والتشرد وإلى محنة القمع والارهاب محنة التكفير نعم محنة التكفير ، وكانت قصيدته « كلمات سبارتاكوس

الأخيرة « واحدة من القصائد التي وضعها » زعماء محاكم التفتيش « على مشرحة التكفير ، والقصيدة تدعو إلى التمرد ضد الطغيان وتمجد دور العبد سبارتاكوس الذي امتشق السيف في وجه العبودية وفي وجه روما العابثة بانسانية الانسان ومطلع القصيدة وهو الأكثر اثارة يقول :

المجد للشيطان .. معبود الرياح

من قال (لا) في وجه من قالوا (نعم)

من علم الانسان تمزيق العدم

من قال (لا) .. فلم يمت ،

وظل روحاً أبدية الأمل !

المجد هنا ، ليس للشيطان (ابليس) ولكن للشيطان (سبارتاكوس) ذلك العبد الشجاع الذي اشتاقت نفسه للحرية فقال (لا) في وجه (القيصر) وكانت النتيجة أن اسمه ظل على كل لسان وظلت روحه الأبدية الأمل تزور الشجاعة في نفوس العبيد وتدفع بهم إلى الصفوف الأولى من المواجهة ، وقد فهم صغار العقول في

محكم التفتيش المعاصرة أن الشاعر يجد ابليس وأنه بذلك قد كفر ، وأن دمه قد صار حلاًلاً . وقد حاول صغار العقول هؤلاء أن يصلوا بصرخاتهم الحاقدة إلى (أهل الحل والعقد) إلا أن الصرخات ضاعت في أرض مصر الواسعة الأرجاء ، وظلت تتردد همساً في دهاليز الكراهية إلى أن رحل الشاعر عن عالم الحقد والطغيان وأخذه الله إلى جواره الرحيم الكريم .

لقد كتب الشاعر قصيدته في الاسكندرية وفي شارع الاسكندر الأكبر وهو يتذكر الجموع الفقيرة الغفيرة وهي تسير في الشوارع مغمية الظهور مثقلة الأعناق كمقطيع الأغنام ؛ لا صوت يرتفع بكلمة (لا) الكلمة السائدة والشائعة هي (نعم) مصحوبة بالنسبة المعروفة (١٩٠٩٩) تذكر الشاعر كل ذلك فكتب قصيدته التي حاول فيها أن يعلم الجماهير العربية المضطهدة أن تقول (لا) حتى وإن كانت العاقبة لا تختلف كثيراً عن عاقبة ذلك الناصر المعلق في مشنقة على مدخل المدينة الظالمة :

معلق أنا على مشائق الصباح

وجبهتي - بالموت - مخنية

لأنني لم أحنها .. حية

.....

يا اخوتي الذين يعبرون في الميدان مطرقي

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الاسكندر الأكبر :

لا تتجملوا .. ولترفعوا عيونكم إلي

لأنكم معلقون جانبي .. على مشائق القيصر ..

فلترفعوا عيونكم إلي

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت في عيني

ينسم الفناء داخلي ..

لأنكم رفعتم رأسكم مرة .

وبعد أن طهرت آلام المرض العنيف روح الشاعر

الكبير وجسده الهزيل ، وعندما رحل إلى جوار ربه الغفور

الرحيم لا أشك في أنه قد غفر لخصومه من أنصار محاكم

تمتيش ودعاة التكفير ولكن هل اعتذر له هؤلاء هل
ولوا أن يستغفروا لذنبهم الكبير ، ذنب اتهام المبدعين
نب قتل المواهب ؟ كان الشاعر متهاً منذ كان متنب
بيلة وصوت احزانها ، ورجال الدين يتهمون بالتجديف
الحاد .. ورجال السلطة يتهمون بالخروج على النظام
عظيم الاستقرار الموهوم ومن سوء حظ الشاعر الحقيقي
العصر الحديث أن التهم القديمة لم تتغير ولم تتطور
برات العصر وتطوراته .. في مواجهة جدار اليأس
حباط

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق

ربما ننفق كل العمر .. كي نثقب ثغره

ليمر النور للأجيال مره !

.....

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق .. !

(سيزيف) ذلك البطل الأسطوري المحكوم عليه بحمل الصخرة إلى القمة لكي تعود إلى القاع ثم يعود هو إلى حملها من جديد إلى القمة في رحلة عذاب لا تنتهي بين القاع والقمة (سيزيف) هذا أي معنى لحياته التافهة المكرورة إن خلت من هذا العذاب المظني الرتيب . وأي عذاب للإنسان بدون هذا الجدار الذي يحاول بجهده الإنساني أن يفتح عليه ثغرة للنور ، نور المعرفة والتغيير إلى الأفضل والأجمل والأنقى . . وإذا كان الشاعر الكبير امل دنقل قد ظل يحفر في الجدار ورحل قبل أن يتدفق شلال للنور المنتظر فإن كلماته ستظل تواصل الحفر والطرق على وجه إجدار الواقف في وجه الشروق إلى أن ينهدم الجدار ويتدفق انهاراً من الاشواء ، فمن غير المعقول أن تظل الأرض العربية تتزف دماً . وان يظل ابناؤها هكذا حيارى يفترسهم الارهاب وتتقاذفهم الهموم إلى نهاية العالم .

وضع امل دنقل هذا المقطع الصغير افتتاحية لديوانه الأول (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) ولاختيار هذا المقطع وللحرص على أن يتصدر فاتحة الديوان (البداية) لذلك كله مغزى خطير يلخص بمرارة خيبة الأمل والشعور بالعجز ازاء مختلف اشكال الاحباط في الواقع العربي المعاصر .

وصورة هذا الجدار الذي ينهض في وجه الشروق الخاص وفي وجه الشروق العام ليسد النور ويمنع كل ومضة امل . . صورة هذا الجدار تعكس منذ البداية الشعور البائس المحبط ، ولكنها في الوقت ذاته تكشف عن استعداد شجاع وجريء لمواجهة هذا الجدار ومحاولة التغلب عليه ، وكأني بالشاعر في بداية حياته يشعر بوعورة الطريق واتساع المسافة لكن تفاؤل الشباب جعله وهو يقترب من الجدار يشعر بالزهو لأن الجدار يعطي لحياته قيمة ويعطيها معنى ، فأى معنى لحياة لا معاناة فيها ولا مكابدة ، حتى

أخيراً أي شعور حزين يعت
بالكلمات شاعراً عظيماً عاش
وللوطن . وأي احساس فاجع ؛
نكتب بالكلمات كل يوم سوى رثا
ابناء هذا الوطن ولأروع ما
ونقاء

الدكتور عبا

مقتل القمر

الاهداء

إلى الاسكندرية
سنوات الصبا !

أحسُّ حَيالَ عَيْنِكَ
شَيْءٌ دَاخِلِي يَبْكِي
أَحْسُ خَطِيئَةَ الْمَاضِي تَعَرَّتْ بَيْنَ كَفَيْكَ
وَعَنْقُوداً مِنَ التَّفَاحِ فِي عَيْنَيْنِ خَضِرَاوِينِ
أَنْسَى رَحْلَةَ الْأَثَامِ فِي عَيْنَيْنِ فَرْدُوسِيْنَ ؟
وَحَتَّى أَيْنَ ؟
تَعَذَّبْنِي خَطِيئَاتِي .. بَعِيداً عَنْ مَوَاعِيدِكَ
وَتَحْرَقْنِي اشْتِهَاءَاتِي قَرِيباً مِنْ عُنَاقِكَ !
وَفِي صَدْرِي
صَبِي أَحْمَرُ الْأَطْفَارِ وَالْمَاضِي
يَخْطُطُ فِي تَرَابِ الرُّوحِ ،
فِي أَنْقَاضٍ أَنْقَاضِي !
وَأَنْظُرُ نَحْوَ عَيْنِكَ

فترعشنى طهارة حب
وتفرقنى اختلاجة هذب
والمح — من خلال الموج — وجه الرب
يؤنبنى

على نيران أنفاسى يقلبنى
وأطرق ...

والصراع المر فى جوفى يعذبنى !!

... ..

أحرق فى خضور الصيف فى شفتيك :

يموى داخلى الحرمان
(لهيب آدمى الشوق ، مصباحان يرتعشان)
وأهرب نحو عينيك :

يطالعنى الندى والله والغفران !
وأسقط بين نهديك
لتحترق الروءى

وأغرق فيهما بالنار والشك
فمشوى رغبتى شيا
وأغمض عنك عينيا

وأسند رأسى الملفوح فى صدرك
فقد تترمد الأفكار فى جمرك
وأحرق جنة المأوى

... ..

فيا ذات العيون الخضر
دعى عينيك مغمضتين فوق السر
.. لأصبح حر !!

طفلتها

(.. مرت خمس سنوات على الوداع وفجأة .. رأى طفلتها !)

لأنقرى من يدي مختبئه
.. خبث النار بحجوف المدفأة !
أنا ..

(لوتدرين)
من كنت له طفله

لولا زمان فجأه
كان في كفى ما ضيعته
في وعود الكلمات المرجأه
كان في جنبي
لم أدر به !

.. أو يدري البحر قدر اللؤلؤة ؟

عمر ضائع من شباني
السرور المخطئة
كبرت بعام
حسرت مهجتي عاماً
وأنت صدأه
تحمّل من الماضي
سرى ذكريات في الأسى مهتره
تجربى بالدجي
تدجى للذى ضل مناه ..
كك !!

• • •

حيون الواسعات الهادئة
والشفاه الحلوة الممتلئة :
طفلة
ذكرها

وهي عن سبعة عشر منبئة

إنني أعرفها

فأفترى

فكلانا في طريق أخطاه

سأفني حمقى

وفي حلقي مرارة شوق

وأمان صدئه

فأبسمي ياطفلتي

(منذ مضت ... وابتهامات الضحى منطفئة)

ثرثرى

(صوتك موسيقى حكمت صوتها ذا النبرات المدفئة)

— « إحلّ لي أحجية »

— لم يبق في جمعيتي

غير الحكايا السيئة

فأسمعها يا ابنتي مسرعة

عبرت فيها الليالي .. مبطنة

.....

« كان يا ما كان »

كان فتي

كان يملك إلا .. مبداه

دات ثغر يشتبه قبله الشمس

وروى ظمأه

حسّ الحب بها ؛ فاستسلمت

وروى الحب به ؛ فاستمرأه

— قد صعدت مركبه

صحي

ل قصة مبتدئة

يمر في شرفته مرتقب

يمر في شباكها .. متكة

نعم منقسم

لا ينتهي حلم

لا وحلم بداه

صعدا

سلمة ..

سلمة ..

في قصور الأمنيات المنشأة
لم تكن تملك إلا طهرها
لم يكن يملك إلا مبدأه

• • •

ذات يوم
كان أن شاهدها
من له أن يشتري نصف امرأة
حينما أوما لها مبتسماً
فأشاحت عنه
كالمستهزئة
اشتراها في الدجي
صاغرة
زفت السبعة عشر .. للمئة
لم يكن شاعرها فارسها
لم يكن يملك إلا ..
التهينة

لم يكن يملك إلا مبدأه
ليس إلا ..
كلمات مطفأة

• • •

أترى تدرين من كان الفتى ؟
فهو يدري الآن
يدري خطأه !
والتي بيعت وفي معصمها الوشم
فاعتاد الفؤاد الطأطأة ؟!
ومن النخاس ؟
هل تدريته ؟
وهو ملاح تناسى مرفأه
اننى أكرهه
يكبره ضوء مصباح نبيل أطفأه
غير أن الحقد ..
(يا طفلة)

وأنت يا حبيبي
طير على سفر

• • •

ويرحل المطر
ويذبل الشجر
ويغمر الغبار النقوش والصور
... ..

وتهبط الأحزان
فتمحي الألوان
والقلب
والخطوط العرجاء
والأسمان
وبنخر السوس القديم في العيدان
وترحل الطيور الزرق
بلا عنوان
تسأل عن هوانا
تسأل عما كان

.. ماكان يا حبيبي
حلم ؛ وقد عبر !

• • •

وينزل المطر
ويرحل المطر
وينزل المطر
ويرحل المطر
والقلب يا حبيبي
مازال ينتظر

قلبي .. والعيون الخضر

- ١ -

صبيّاً كان

شدّدت على يديه القوس

أعلمه الرماية

(كى يفوق بقية الأقران)

« فلما اشتدّ ساعده .. »

.....

ثلاث سنين

أبارز قلبي المفتون

يجمع بيننا ليل ، ويفصلنا نهار قتال

تطل على — خلف لثامه — عينا خضراوان

(كأوردة تلون بطن ركبة عانس عجفاء)

وقبلا .. كانتا في وجه قديسة !

• • •

ثلاث سنين

يتازلنى ، أنازله

مات ساخن ، وغبار

عرف على الفم المزموم ،

ثم يرين فوق العشب والأسوار

وكان الفخ قرب الباب

سقطت ملوث الرتين والأثواب

أشاحت عنى العينان

وكننت تراب

وكان يدير لى كتفيه فى استهزاء

.. وتعرف أنت

ماذا يفعل المغلوب مثلى

حين يوليه العدو الظهر ؟

وفى كفى بقايا سهم

.....

• • •

وطفلاً كنت ، كالأطفال

ومركبة من الكلمات تحملنى لعرش الشمس

وقلدنى الهوى سيفه :

« إلى ذات العيون الخضر »

وكوكبة من الربات مصطفة

« إلى ذات العيون الخضر »

وقريتنا — وراء العين — تورا من الصمت

وثرثرة من الغدران

وصوت الطبل

يدق لينزع القمر القديم نقابه المعتل

وطفل شاحب ينهض

تزغرد نسوة لختانه المدسوس في جلبابه الأبيض

وفوق الجسر

غلام لاهث يعدو

ليمسك مهرة فرت وفي سيقانها يتعلق القيد

... ..

ومركبتى تشد الأفق مخروطة الدرب

« إلى ذات العيون الخضر »

تلال السحب تهرب من ورائى كومة .. كومة

وأنسام تضم عباءتى بأنامل الرحمة

ومن ضمه

إلى ضمه

تنسمنا قلاع الحب والحكمة

ولكنا على الأبواب

أطل نتوء

(كأنف قد تورم فوق وجه العازف السكير)

على العجلات مد لسانه الموبوء

تهاوت فيه مركبتى

فعد بإصاحب الكلمات

كأسياخ الحديد توهجت في النار

تمر على عيونك أحرف الكلمات

« هوانا مات »

تھاوينا

بلغنا قمة القمة

لنهبط في انحدار الجانب الآخر

ومن عثره الى عثره

تلقانا تراب الأرض في راحاته البرّة

ودارت قهوة الموتى

رأيت يديك هذا اليوم

معطرتين ، ناعمتين

ولكننى رأيت على أظافرك الدم الملمم

وفي المجرى الذى ينساب في النهدين

مددت يدك قبيل النوم

عذرت على حطام الخنجر المسموم
والقفاز !!

يا وجهها

يا منى نلتقى .. سهوا

يا منى فقدك

يا منى احنوا

° ° °

يا منى سبته : شدوا

يا منى ما أجذك ؟

يا منى على شفة الصبا .. لغوا

° ° °

يا منى كجأ أهوى

يا منى على الدفء والجلوى

يا منى تـ سماتك الشجوا

يا منى مرتعدك

° ° °

يا منى حبه أعدك

الصيف فيك يعانق الصبحوا
عينك ترتحيان في أرجوحة
والشجر مرتعش بلا مأوى
وعذابه : سلوى
إن جئت أنفض عنده الشكوى

• • •

في الليل افتقدك
فتضيء لي قسماتك النشوى
تأقني خجول البوح مزهوا
وعلى ذراع الشوق استندك
وأحس في وجهي لظى الأنفاس
حين يلفني رغدك !
وأنام !

تحملني رؤاك لنجمة قصوى
نترفق الخطوا
نحكى ، فأرشف همسك الرخوا
ويهزني صحوى .. فافتقدك
لكن بلا جدوى
بلا جدوى !

حبيب الحلو
حبيب الحلو
حبيب الحلو
حبيب الحلو
حبيب الحلو
• • •

حبيب الحلو
حبيب الحلو
حبيب الحلو

مقتل القمر !

.. وتناقلوا النبأ الأليم على بريد الشمس
في كل المدينة :

« قتل القمر » !

شهوده مصلوباً تدلى رأسه فوق الشجر !
نهب اللصوص قلادة الماس الثمينة
من صدره !

تركوه في الأعواد ،

كالأسطورة السوداء في عيني ضريبر
ويقول جارى :

— « كان قديساً ، لماذا يقتلونه ؟ »

وتقول جارتنا الصبية :

— « كان يعجبه غنائى في المساء

وكان يهدينى قوارير العطور

فبأى ذنب يقتلونه ؟

هل شاهدوه عند نافذتى — قبيل الفجر — يصفى للغناء

سمعت من كل العيون
أطفال القصر

مات .. مات !

أبى التى غدرت به
،
مات !

• • •

حبته على عينيه ..

من فارقوه !

من باب المدينة

أبى قريتنا أبوكم مات

قتله أبناء المدينة

عليه دموع إخوة يوسف

تفرقوا

تركوه فوق شوارع الأسفلت والدم والضعيفة
يا اخوتي : هذا أبوكم مات !

— ماذا ؟ لا .. أبونا لا يموت

بالأمس طول الليل كان هنا

يقص لنا حكايته الحزينة !

— يا اخوتي بيدي هاتين احتضنته

أسبلت جفنيه على عينيه حتى تدفونه !

قالوا : كفك ، اصمت

فانك لست تدري ما تقول

قلت : الحقيقة ما أقول

قالوا : انتظر

لم تبق إلا بضع ساعات ..

ويأتي !

• • •

حط المساء

وأطل من فوق القمر

متألق البسمات ، ماسى النظر

— يا اخوتي هذا أبوكم ما يزال هنا

فمن هو ذلك الملقى على أرض المدينة ؟

قالوا : غريب

ظنه الناس القمر

قتلوه ، ثم بكوا عليه

ورددوا « قتل القمر »

لكن أبونا لا يموت

أبدأ أبونا لا يموت !

شيء يحترق

شيء في قلبي يحترق
إذ يمضي الوقت .. فنفترق
ونمد الأيدي
يجمعها حب
وتفرقها .. طرق
.. .
.. ولأنت جوارى ضاحجة
وأنا بجوارك ، مرتفق
وحديثك يغزله مرح
والوجه .. حديث متسق
ترخين جفونا
أغرقها سحر
فطفًا فيها الفرق
وشبابك حان جبلي
أرز ، وغدير ينبثق

وبيد ذهبي وحدي
مصطبغ منه ومغتيق
وتغوص بقلبي نشوته
تدفعني فيك .. فتلتصق
وأمد يدين معربدين
فتوبك في كفى ..
مزق
وذراعك يلتف
ونهر من أقصى الغابة يندفق
وأضملك
شفة في شفة
فيغيب الكون ، وينطبق
.....
وتعموت النار
فترقبها
بجفون حار بها الأرق
خجلى !
وشفاهلك ذائبة
ونشارك نشوى تندلق

ونعود نثرثر
كبحيرات هادئة

غطاها الورق

ويعمر الوقت فلا ندرى

ويقيم محافله الشفق

وتدق الساعة معلنة

فيهب بنا صحو قلق

ويحين وداع

وقتي

وأراه كحللم ينسحق

يرتد الصمت لموضعه

ويعود إلى الأذن الحلق

ونمد الأيدي

راغمة

نتشاكى العتب

وتنزلق !

وأحس بشيء في صدري

شيء .. كالفرحه

يحترق !

قالت

قالت : تعال إليّ

واصعد ذلك الدرج الصغير

قلت : القيود تشدني

والخطو مضني لا يسير

مهما بلغت فلست أبلغ ما بلغت

وقد أخور

درج صغير

غير أن طريقه .. بلا مصير

فدعى مكاني للأسى

وامضى الى غدك الأمير

فالعمر أقصر من طموحي

والأسى قتل الغدا

• • •

قالت : سأنزل

قلت : يا معبودي لا تنزل لي

قالت : سأُنزل

قلت : خطوطك منته في المستحيل

ما نحن ملتقيان

رغم توحد الأمل النبيل

... ..

نزلت تدق على السكون

رنين ناقوس ثقيل

وعيوننا متشابكات في أسمى الماضي الطويل

تخطو إلى

وخطوها ما ضلّ يوماً عن سبيل

وبكى العناق

ولم أجد إلا الصدى

إلا الصدى

ماريا

ماريا ؛ يا ساقية المشرب

الليلة عيد

لكننا نخفى جمرات التنهيد !

صلى النشوة نخباً .. نخباً

صلى حبا

قد جئنا الليلة من أجلك

لربح العمر المتشرد خلف شعاع الغيب المهلك

في ظل الأهداب الإغريقية !

ما أحلى استرخاءة حزن في ظلك

في ظل الهدب الأسود

.....

— ماذا يا ماريا ؟

— الناس هنا كالناس هنالك في اليونان

بسطاء العيشة ، محبوبون

— لا يا ماريا

إناس هنا — في المدن الكبرى — ساعات

! تتخلف

! تتوقف

! تتصرف

آلات ، آلات ، آلات

كُفَى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان !

.....

ماذا يا سيدة البهجة ؟

العام القادم في بيتي زوجة ؟!

قد ضاعت يا ماريًا من كنت أود

ماتت في حضن آخر

لكن ما فائدة الذكرى

ما جدوى الحزن المقعد

نحن جميعاً نحجب ضوء الشمس ونهرب

كُفَى يا ماريًا

نحن نريد حديثاً نرشف منه النسيان

.....

قولى يا ماريًا

أوما كنت زماناً طفلة

يلقى الشعر على جبهتها ظله

من أول رجل دخل الجبه واستلقى فوق الشيطان

علقت في جبهته من ليك خصلة

فضُّ الثغر بأول قبلة

أوما غنيت لأول حب

غنينا يا ماريًا

أغنية من سنوات الحب العذب

.....

.....

.....

ما أحلى النغمة

لتكاد تترجم معناها كلمة .. كلمة

غنينا ثانية .. غنى

(أوف .

لا تتجهم

ما دمت جوارى ، فلتتبسم

بين يديك وجودى كنز الحب

عيناي الليل .. ووجهى النور

شفتای نبیذ معصوّ
صدری جنتک الموعودة
وذراعای وساد الرب
فتبسّم للحب ، تبسم
لا تتجهّم
لا تتجهّم)

.....

ما دُمت جوارک یا ماریا لن أتجهّم
حتى لو كنت الآن شاباً كان
فأنا مثلك كنت صغيراً
أرفع عینى نحو الشمس كثيراً
لكنى منذ هجرت بلادى
والأشواق
تمضغنى ، وعرفتُ الأطراق
مثلك منذ هجرت بلادك
وأنا أشتاق
أن أرجع يوماً ما للشمس
أن یورق فی جدی فیضان الأمس
.....

قولى یا ماریا
العام القادم یبصر کُلّ منا أهله
کى أرجع طفلاً .. وتعودی طفلة
لکنا اللیلة محرومون
صی أشجانک نخباً .. نخباً
صی حبا
فأنا ورفاقی
قد جئنا اللیلة من أجلك !

استريحي

استريحي

ليس للدور بقية

انتهت كل فصول المسرحية

فامسحي زيف المساحيق

ولا ترتدى تلك المسوح المريبة

واكشفي البسمة عما تحتها

من حنين .. واشتهاء .. وخطيه

كنت يوماً فتنة قدستها

كنت يوماً

ظماً للقلب .. وريه

• • •

لم تكوني أبداً لى

إنما كنت للحب الذى من سنتين

قطف التفاحتين الخلويتين

ثم ألقى

بيقايا القشرتين

وبكى قلبك حزناً

فقدنا دمة حمراء

بين الرئتين

وأنا ؛ قلبي مندبل هوى

جففت عيناك فيه دمعتين

ومحت فيه طلاء الشفتين

ولوته ..

فى ارتعاشات اليدين

كان ماضيك جداراً فاصلاً بيننا

كان ضلالاً شبحية

فاستريحي

ليس للدور بقية

أيها نحن جلسنا

ارتسمت صورة الآخر فى الركن القصى

كنت تخشين من اللمسة

أن تمحى لمسته فى راحتى

وأحاديثك فى الهمس معى

إنما كانت إليه ..

لا إلى

فاستريحى الآن

لم يبق سوى حيرة السير على المفترق

كيف أقصيك عن النار

وفى صدرك الرغبة أن تحترق ؟

كيف أدنيك من النهر

وفى قلبك الخوف وذكرى الغرق ؟

أنا أحبيتك حقاً

إنما لبست أدرى

أنا .. أم أنت الضحية ؟

فاستريحى ، ليس للدور بقية

العار الذى نتقيه

هذا الذى يجادلون فيه

قولى لهم من أمه ، ومن أبوه

أنا وأنت ..

حين أنجبناه ألقيناه فوق قمم الجبال كى يموت !

لكنه ما مات

عاد إلينا عنفوان ذكريات

لم نجترىء أن نرفع العيون نحوه

لم نجترىء أن نرفع العيون

نحو عارنا المميت

• • •

ها طفلنا أمامنا غريب

ترشقه العيون والظنون بازدرائها

ونحن لا نجيب

(وربما لو لم يكن من دمنا

كنا مددنا نحوه اليدا

رسالة من الشمال

بعمري — من الشوك — مخشوشين
بعرق من الصيف لم يسكن
بتجويف حب ، به كاهن
له زمن .. صامت الأرغن :
أعيش هنا
لا هُنا ، إننى
جهلْتُ بكيثونتي مسكنى
غدى : عالم ضل عنى الطريق
مسالكه للسدى تنحنى
علاماته .. كاثيال الضوء
على دنس منتن .. منتن
تفح السواسن سم العطور
فأكفر بالعطر والسوسن
وأفصد وهمى .. لأمتصه
فيمتصنى الوهم ، يمتصنى ..

لكنه .. ما زال يقطع الدروب
يقطع الدروب
وفى عيوننا الأسى المريب

• • •

« أوديب » عاد باحثاً عن اللذين ألقياه للردى
نحن اللذان ألقياه للردى
وهذه المرة لن نضيعه
ولن نتركه يتوه
ناديه

قولى انك أمه التى ضنت عليه بالدفء
وبالبسمة والحليب

قولى له أنى أبوه
(هل يقتلنى ؟) أنا أبوه
ما عاد عاراً نتقيه
العار : أن نموت دون ضمة
من طفلنا الحبيب
من طفلنا « أوديب »

ملاكى : أنا فى شمال الشمال
أعيش .. ككأسى بلا مدمن
ترد الذباب انتظاراً ، وتحسو
جهود مواعدها الخون
غريب الخطايا ، بقايا الحكايا
من الليل لليل تستلنى
أرشد ابتسامتى على كل وجه
توسد فى دهنه اللين
ويجرحنى الضوء فى كل ليل
مرير الخطى ، صامت ، محزن
سريت به — كالشعاع الضئيل —
الى حيث لا عابر ينثنى
هى اسكندرية بعد المساء
شتائية القلب والمخضن
شوارعها خاويات المدى
سوى : حارسى لا يعتنى
ودورة كليين كى ينسلا
ورائحة الشبق المزمز
ملاكى .. ملاكى .. تساءل عنك

اغتراب التفرد فى مسكنى
سفحت لك اللحن عبر المدى
طريقاً إلى المبتدأ ردى
وعينك : فيروزتان تضيقان
فى خاتم الله .. كالأعين
تمدان لى فى المغيب الجناح
مدى ، خلف خلف المدى الممعن
سألتهما فى صلاة الغروب
عن الحب ، والموت ، والممكن
ولم تذكر لى سوى خلجة
من الهدب قلت لها : هيمنى !
هواى له الشمس تنبذة
إلى اليوم بالموت لم تؤمن
وكانت لنا خلوة ، إن غدا
لها الخوف أصبح فى مأمن
مقاعد ما تزال النجوم
تحجج إلى صمتها المؤمن
حكينا لها ، وقرأنا بها
بصوت على الغيب مستأذن

دنوا ، دنوا ففى جعبتى
 حكايات حب سنى ، سنى
 صقلت به الشمس حتى غدت
 مرايا مساء لتزيتنى
 وصفت لك النجم عقداً من
 الماس شع على صدرك المفتى
 أردتك قبل وجود الوجود
 وجوداً لتخليده لم أن
 تغربت عنك ، حيث الحياة
 مناجم حلم بلا معدن
 ودورة كلبين كى ينسلا
 ورائحة الشبق المزمز

ملاكى : ترى ما يزال الجنوب
 مشارق للصيف لم تعلن
 ضمنت لصدري تصاویرنا
 تهاویر تبكى على المقتنى
 سأتى إليك أجر المسير
 خطى فى تصلبها المذعن

سأتى إليك كسيف تحطم
 فى كف فارسه المثخن
 سأتى إليك نحيلاً .. نحيلاً
 كخيطة من الحزن لم يحزن
 . . .
 أنا قادم من شمال الشمال
 لعينين — فى موطنى — موطنى !

أوتوجراف

لن أكتب حرفاً فيه
فالكلمة — إن تكتب — لا تكتب
من أجل الترفيه

(والأوتوجراف الصامت تهذل الكلمات عليه ،
تحييه

وتطرز كل مثانيه !
ماضيك

— وماضى الأوتوجراف —
بقايا شوق مشبوه

بصمات الذكرى فيك ، وفيه
وخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه
لكنى أطرده كل ذباب الماضى عن بائى
فدعيه

غيرى قد يصبح سطرأ من ورق
بقلبه من يجهله أو من يدريه

غيرى قد ينبش تابوتاً براق اللون
تعفن خافيه
لكنى أطرده كل ذباب الذكرى
عن غدى المشدوه
عن ثوى ، وطعامى ، وفراشى
عن خطوة تبهى
.....

يا أصغر من كلمائى
لن أكتب فيه

فخطى العشاق المحمومة أدمت كل دواليه !

شبيبته

انتظري !

ما اسمك ؟

يا ذات العيون الخضر والشعر الغري
أشبهت في تصوري .

(بوجهك المدور)

حبيبة أذكرها .. أكثر من تذكرى

يا صورة لها على المرأة ، لم تنكسر

حبيبتي — مثلك —

لم تشبه جميع البشر

عيونها حداثق حافلة بالصور

أبصرتها اليوم بعينيك

اللتين صبتا في عُمرى ..

طفولة .. منذ اتران الخطو لم تنحسر

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصوري

كم أشهر وأشهر

مرت ولسنا نلتقى

مرت .. ولم نخوضر

الماس في مناجى

مشوه التبلور

والذكريات في دمي

عاصفة التحرر

كرقصة نارية من فتيات الفجر

.....

لكننى حين رأيت الآن صورة لها

في مهجرى

أيقنت أن ماسنا ما زال

حتى الجواهر

وأنا سنلتقى ..

رغم رياح القدر

وأنتى في فمك المستضحك المستبشر

أغنية للقمر

أغنية ترقص فيها القرويات

• • •

يا ظل صيف أخضر

تصورى

كم أشهر وأشهر

مفترباً عن العيون الخضر والشعر الثرى

العينان الخضراوان

العينان الخضراوان

مروحتان

في أروقة الصيف الحران

أغنيّتان مسافيتان

أبحرتا من نايات الرعيان

بعير حمان

عزاء من آهة النور إلى مدن الأحزان

سنتان

وأنا أبني زورق حب

يتمد عليه من الشوق شرعاعان

كى أبحر في العينين الصافيتين

إلى جزر المرجان

ما أحلى أن يضطرب الموج فينسدل الجفنان

وأنا أبحث عن مجداف

عن إيمان !

• • •

Petit Terianor

(الملهى الصغير)

لم يعد يذكرنا حتى المكان !
كيف هنا عنده ؟
والأمس هان ؟
قد دخلنا ..
لم تُشر مائدةً نحونا !
لم يستصفنا المقعدان !!
الجليسان غريبان
فما بيننا إلا . ظلال الشمعدان !
أنظري ؛
قهوتنا باردة
ويدانا — حولها — ترتعشان
وجهك الغارق فى أصباغه
وجهى الغارق فى سحب الدخان
رُسمًا

فى صمت « الكاتدرائيات » الوسنان
صور « للعذراء » المسبلة الأجفان
يا من أرضعت الحب صلاة الغفران
وتمطى فى عينيك المسبلتين
شبابُ الحرمان
رُدَى جفنيك
لأبصر فى عينيك الألوان
أهما خضراوان
كعيون حبيبي ؟
كعيون يبحر فيها البحر بلا شطآن
يسأل عن حبّ
عن ذكرى
عن نسيان !
قلبي حران ، حران
والعينان الخضراوان
مروحتان !

(ما ابتسما !)
في لوحة خانت الرسام فيها ..
لمستان !!

تُسدل الأستار في المسرح
فلنضيء الأنوار
إن الوقت حان
أمن الحكمة أن نبقي ؟
سدى !!

قد خسرنا فرسينا في الرهان !
قد خسرنا فرسينا في الرهان
مالنا شوط مع الأحلام
ثان !!

نحن كنا ها هنا يوماً
وكان

وهج النور علينا مهرجان
يوم أن كنا صفاراً
نمتطى صهوة الموج
إلى شط الأمان

كنتُ طفلاً لا يعنى معنى الهوى

وأحاسيسك مرخاة العنان
قطعة مغمضة العينين
في دمك البكر لهيب الفوران
عامنا السادس عشر :
رغبة في الشرايين
وأعواد لدان
ها هنا كل صباح نلتقى
بيننا مائدة
تندى .. حنان
قدمانا تحتها تعنتقان
ويدانا فوقها تشبكيان
إن تكلمت :
ترئمت بما همسته الشفتان الحلوتان
وإذا ما قلتُ :
أصغت طلعة حلوة
وابتسمت غمازتان !
أكتب الشعر لنجواك
(وإن كان شعراً بيغائى البيان)
كان جمهورى عيناك !

إذا قلته : صفقتا تبتسمان

ولكن ينصحننا الأهل

فلا نصحبهم عزّ

ولا الموعد هان

لم نكن نخشى إذا ما نلتقى

غير ألا نلتقى في كل آن

ليس ينهائى تأنيب أئى

ليس تنهاك عصا من خيزران !!

الجنون البكر ولئى

وانتهت سنة من عمرنا

أو .. سنتان

وكما يهدأ عنف النهر

إن قارب البحر

وقاراً .. واتزان

هدأ العاصف فى أعماقنا

حين أفرغنا من الخمر الدنان

قد بلغنا قمة القمة

هل بعدها إلا .. هبوط العنقوان

اثرقنا ..

(دون أن نغضب)

لا يفضب الحكمة صوت الهذيان

ما الذى جاء بنا الآن ؟

سوى لحظة الجبن من العمر الجبان

لحظة الطفل الذى فى دمنّا

لم يزل يحبو ..

ويكبو ..

فيعان !

لحظة فيها تناهيد الصبا

والصبا عهد إذا عاهد : خان

أمن الحكمة أن نبقى ؟

سدى

قد خسرنا فرسينا فى الرهان

• • •

قبلنا يا أخت فى هذا المكان

كم تناجى ، وتناغى عاشقان

ذهبا

ثم ذهبنا

وغداً ..

يتساقى الحب فيه آخران !
فلندعه لهما
ساقية ..
دار فيها الماء
مادار الزمان !!

البركة، بين يدي زرقاء العيسية

آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهض في وجه الشروق .

ربما ننفق كل العمر .. لكي ننقب ثغره

ليمر النور للأجيال .. مره !

... ...

ربما لو لم يكن هذا الجدار ..

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!

إلى « مازن جودت أبو غزالة »
 . عرفته في سنوات السّؤال .
 . رحل مع « العاصفة » .

للوهلة الأولى

قرأت في عينيه يومه الذى يموت فيه .
 رأيته في صحراء « النقب » مقتولا ..
 منكفئاً .. يغرز فيها شفتيه ،

وهى لا تردُّ قبلةً .. لفيه !

نتوه في القاهرة العجوز ، ننسى الزمنا
 نفلت من ضجيج سياراتها ، وأغنيات المتسولين
 نُظَلْنَا محطةً المترو مع المساء .. متعيين .
 وكان يبكي وطننا .. وكنت أبكي وطننا
 نبكى إلى أن تنضب الأشعار
 نسألها : أين خطوط النار ؟
 وهل تُرى الرصاصه الأولى هناك .. أم هنا ؟
 . . .

والآن .. ها أنا

أظل طول الليل لا يذوق جفنى وسنا
 أنظر في ساعتى الملقاة في جوارى
 حتى تحمىء . عابراً من نقط التفتيش والحصار
 تتسع الدائرة الحمراء في قميصك الأبيض ، تبكى شج
 من بعد أن تكسرت في « النقب » رايثك !
 تسألنى : « أين رصاصتك ؟ »
 « أين رصاصتك »
 ثم تغيب : طائراً .. جريحا
 تضرب أفتك الفسيحا
 تسقط في ظلال الضفة الأخرى ، وترجو كفنا !
 وحين يأتي الصبح — فى المذيع — بالبشائر
 أزيح عن نافذتى الستائر ،
 فلا أراك .. !
 أسقط فى عارى . بلا حراك
 أسأل إن كانت هنا الرصاصه الأولى ؟
 أم أنها هناك ؟ ؟

كلمات سبارتكونس الأخيرة

(مزج أول) :

المجد للشيطان .. معبود الرياح
من قال « لا » في وجهه من قالوا « نَعَمْ »
من عَلَّمَ الانسانَ تمزيقَ العدم
من قال « لا » .. فلم يَمُتْ ،
وظل رُوحاً أبدية الألم !

(مزج ثان) :

مُعلّق أنا على مشائق الصباح
وجيبتى — بالموت — محنية
لأننى لم أحنها .. حية !

...

ياخواتى الذين يعبرون فى الميدان مطرقيّن
منحدرين فى نهاية المساء

فى شارع الاسكندر الأكبر ..

لا تخجلوا .. ولترفعوا عيونكم إلى

لأنكم معلقون جانبي .. على مشائق القبصر .

فلترفعوا عيونكم إلى

لربما .. إذا التقت عيونكم بالموت فى عيني :

يبتسم الفناء داخلى .. لأنكم رفعتم رأسكم .. مرة !

« سيزيف » لم تعد على أكتافه الصخرة

يحملها الذين يولدون فى مخادع الرقيق .

والبحر .. كالصحراء .. لا يروى العطش

لأن من يقول « لا » لا يرتوى إلا من الدموغ !

.. فلترفعوا عيونكم للثائر المشنوق

فسوف تنتهون مثله .. غدا .

وقبلوا زوجاتكم .. هنا .. على قارعة الطريق

فسوف تنتهون ها هنا .. غدا .

فالانحناء مر ..

والعنكبوت فوق أعناق الرجال ينسج الردى

فقبلوا زوجاتكم .. إلى تركت زوجتى بلا وداع

وإن رأيتم طفلي الذي تركته على ذراعها بلا ذراع
فعلّموه الانحاء !
علموه الانحاء !

الله . لم يغفر خطيئة الشيطان حين قال لا !
والودعاء الطيبون ..

هم الذين يرثون الأرض في نهاية المدى
لأنهم .. لا يشنقون !
فعلّموه الانحاء

وليس ثم من مفر .
لا تحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد !

وخلف كل ثائر يموت : أحزان بلا جدوى ..

ودمعة سدى !

(مزح ثالث) :

يا قيصر العظيم : قد أخطأت .. إني أعترف

دعني — على مشنقتي — ألتئم يدك

ها أنذا أقبل الجبل الذي في عنقي يلتف

فهو يدك ، وهو مجذك الذي يجبرنا أن نعبدك
دعني أكفر عن خطيئتي

أمنحك — بعد ميتتي — جمجمتي
تصوغ منها لك كأساً لشرابك القوي
.. فان فعلت ما أريد :

إن يسألك مرة عن دمي الشهيد
وهل ترى منحتني « الوجود » كي تسلبني « الوجود »
فقل لهم : قد مات .. غير حاقِد عليّ
وهذه الكأس — التي كانت عظامها جمجمة —
وثيقة الغفران لي .

ياقاتلي : إني صفحت عنك ..

في اللحظة التي استرحت بعدها مني :

استرحت منك !

لكنتي .. أوصيك إن تشأ شق الجميع

أن ترحم الشجر !

لا تقطع الجذوع كي تنصبها مشانقا

لا تقطع الجذوع

فرمبا يأتى الربيع

« والعأم عأم جوع »

فلن تشم فى الفروع .. نكهة الثمر !

ورمبا يمز فى بلادنا الصيف الحَظِيرُ

فتقطع الصحراء . باحثاً عن الظلال

فلا ترى سوى الهجير والرمال والهجير والرمال

والظماً التارى فى الضلوع !

ياسيد الشواهد البيضاء فى الدجى ..

ياقيصر الصقيع !

(مزج رابع) :

يا اخوقى الذين يعبرن فى الميدان فى انحاء

منحدرين فى نهاية المساء

لا تحملوا بعالم سعيد ..

فخلف كل قيصر يموت : قيصر جديد .

وإن رأيت فى الطريق « هانيبال »

فأخبروه أننى انتظرته. مدى على أبواب « روما » المجهدة

وأنْتَظَرْتُ شيوخ روما — تحت قوس النصر — قاهر الأبطال

ونسوة الرومان بين الزينة المعربة

ظلمن ينتظرن مقدم الجنود ..

ذوى الرؤوس الأطلسية المجددة

لكن « هانيبال » ما جاءت جنوده المجددة

فأخبروه أننى انتظرته .. انتظرته ..

لكنه لم يأت !

وأننى انتظرته .. حتى انتهت فى حبال الموت

وفى المدى : « قرطاجة » بالنار تحترق

« قرطاجة » كانت ضمير الشمس : قد تعلّمت معنى الركوع

والعنكبوت فوق أعناق الرجال

والكلمات تحتنق

يا اخوقى : قرطاجة العذراء تحترق

فقبلوا زوجاتكم ،

إنى تركت زوجتى بلا وداع

وإن رأيتم طفلى الذى تركته على ذراعها .. بلا ذراع

فعلّموه الانحاء ..

علّموه الانحناء ..

علّموه الانحناء ..

(ابريل ١٩٦٢)

الأرض .. والجرح الذى لا يفتح

الأرض مازالت ، بأذنها دمّ من قرطها المنزوع ،
قهقهة اللصوص تسوق هودجها .. وتركها بلا زاد ،
تشدّ أصابع العطش المميت على الرمال ،
تضيق صرختها بمحمة الخيول .
الأرض ملقاة على الصحراء .. ظامئة ،
وتلقى الدلو مرات .. وتخرجه بلا ماء !
وترحف في هيب القبط ..
تسأل عن عنوبة نهرها ..
والنهر سئم المغول
وعيونها تخبو من الاعياء ، تستسقى جذور الشوك ،
تنتظر المصير المر .. يطحنها الذبول
. . .
من أنت يا حارس ؟

إلى أنا الحجاج ..

عصبي بالتاج ..

تشرينها القارس !

• • •

هل ثبت الثقي

قناعه المهزوز ؟

فقد مضى تموز ..

بوجهه العربى !

• • •

أحببت فيك المجد والشعراء ..

لكن الذى سرواله من عنكبوت الوهم :

يمشى فى مدائنك المليئة بالذباب

يسقى القلوب عصارة الخدر المنمق ،

والطواويس التى نزعت تقاويم الحوائط ،

أوقفت ساعاتها ،

وتجشأت بموائد السفراء ..

تنتظر النياشين التى يسخو بها السلطان ..

فوق أكابر الأغواث منهم !

باسماء :

الأرض تطوى فى بساط « النفط » ،

تحملها السفائن نحو « قيصر » كى تكون إذا تفتحت

اللفائف :

رقصة .. وهديّة للنار فى أرض الخطاة .

دينارها القصدير مصهور على وجنتها .

زئارها المحلول يسأل عن زناة الترك ،

والسياف يجلبدها ! وماذا ؟ بعد أن فقدت بكارتها ..

وصارت حاملاً فى عامها الألفى من ألفين من عشاقها !

لا النيل يغسل عارها القاسى .. ولا ماء الفرات !

حتى لزوجة نهرها الدموى ،

والأموى يقعى فى طريق النبع :

« .. دون الماء رأسك يا حسين .. »

وبعدها يتملكون ، يضاجعون أرامل الشهداء ،

أكل عام : نجمة عربية تهوى ..

وتدخل نجمة برج البرامك ! ؟

ما تزال مواعظ الخصيان باسم الجالسین على الحراب ؟

وأراك .. و ابن خلول « بين المؤمنين بوجهه القزحي ..

يسرى بالوقعة فيك ،

والأنصار واجمة ..

وكل قريش واجمة ..

فمن يهديه للرأى الصواب ؟ !

ملثما يخطو ..

قد شوهته النار !

هل يصلح العطار

ما أفسد النفط ؟

• • •

لم يبق من شيء يقال .

يا أرض :

هل يلد الرجال ؟

(مايو ١٩٦٦)

البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

أيتها العرافة المقدسة ..

حدثك إليك .. متخناً بالطعنات والدماء

أزحف في معاطف القتلى ، وفوق الجثث المكدسة

منكسر السيف ، مغبر الجبين والأعضاء .

أسأل يا زرقاء ..

عن فعلك الياقوت عن ، نبوءة العذراء

عن ساعدى المقطوع .. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكسة

عن صور الأطفال في الخوذات .. ملقاة على الصحراء

عن جارئ الذى يهيم بارتشاف الماء ..

فيثقب الرصاص رأسه .. في لحظة الملامسة !

عن الفم المحشو بالرمال والدماء !!

أسأل يا زرقاء ..

عن وقفتي العزلاء بين السيف .. والجدار !

عن صرخة المرأة بين السبى . والفراز ؟

كيف حملت العار ..

ثم مشيتُ ؟ دون أن أقتل نفسي ؟ ! دون أن أنهار ؟ !

ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة ؟ !

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. بالله .. باللعنة .. بالشيطان

لا تغمضى عينيك ، فالجرذان ..

تلعق من دمي حساءها .. ولا أردّها !

تكلمى ... لشدّ ما أنا مُهان

لا الليل يُخفى عورتى .. ولا الجدران !

ولا اختبأتُ في الصحيفة التي أشدّها ..

ولا احتبأتُ في سحائب الدخان !

.. تقفز حولي طفلةٌ واسعة العينين .. عذبة المشاكسة

(— كان يَقصُّ عنك يا صغيرتي .. ونحن في الخنادق

ففتح الأزرار في ستراتنا .. ونسند البنادق

وحين مات عَطَشاً في الصحراء المشمسة ..

رطبٌ باسمك الشفاه اليابسة ..

وارتخت العينان !)

فأين أخفى وجهي المُتَهَم المدان ؟

والضحكة الطروب : ضحكته ..

والوجه .. والغمازتان ! ؟

• • •

ايتها النبية المقدسة ..

لا تسكتي .. فقد سَكَتُ سَنَةً فَسَنَةً ..

لكي أنال فضلة الأمان

قيل لى « أخرس .. »

فخرستُ .. وعميت .. واثمنتُ بالخصيان !

ظللْتُ في عبيد (عيسى) أحرس القطعان

أجتزُ صوفها ..

أردُّ نوقها ..

أنام في حظائر النسيان

طعامي : الكسرة .. والماء .. وبعض التمرات اليابسة ..

وها أنا في ساعة الطعان

ساعة أن تخاذل الكمأة .. والرمأة .. والفرسان

دُعيت للميدان !

أنا الذى ما ذقتُ لحمَ الضأن ..

أنا الذى لا حولَ لى أو شأن ..

أنا الذى أقصيت عن مجالس الفتیان ،

أدعى الى الموت .. ولم أدع الى المجالسة !!

تكلمى أيتها النبية المقدسة

تكلمى .. تكلمى ..

فها أنا على التراب سائل دمي

وهو ظمىء .. يطلب المزيد .

أسائل الصمت الذى يخنقنى :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

« أجندلاً يحملن أم حديدا .. ٢٠ »

فمن ترى يصدقنى ؟

أسائل الرُكع والسجود

أسائل القيود :

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

« ما للجمال مشيها وثيدا .. ١٩ »

• • •

أيتها العرافة المقدسة ..

ماذا تفيد الكلمات البائسة ؟

قلبٍ لهم ما قلبٍ عن قوافل الغبار ..

فاتهموا عينيكَ ، يازرقاء ، بالبوأر !

قلبٍ لهم ما قلبٍ عن مسيرة الأشجار ..

فاستضحكوا من وهلك الثرثار !

وحين فوجئوا بحدِّ السيف : قابضوا بنا ..

واتمسوا النجاة والفرار !

ونحن جرحى القلب ،

جرحى الروح والفم .

لم يبق إلا الموت ..

والحطام ..

والدمار ..

وصيبةً مشردون يعبرون آخر الأنهار

ونسوةً يسقن فى سلاسل الأسر ،

وفى ثياب العار

مطاطحات الرأس .. لا يملكن إلا الصرخات الناعسة !

.....

ها أنت يازرقاء

وحيدة ... عمياء !

وماتزال اغنيات الحب .. والأضواء

والعرباث الفارحات .. والأزهار !

فأين أخفى وجهي المَشْهُوا

كفى لا أعكر الصفاء .. الأبله .. الموهبا .

في أعين الرجال والنساء ؟!

وأنت يازرقاء ..

وحيدة .. عمياء !

وحيدة .. عمياء !

(١٣ - ٦ - ٦٧)

أيلول

(جوقة خلفية)

(صوت)

(١)

ها نحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة

فحلت اللعنة

في جيلنا المخبول !

... ..

قد حلت اللعنة

في جيلنا المخبول

فنحن يا أيلول

لم ندرك الطعنة !

... ..

بيل الباكي في هذا العام

جمع عنه في السجن قلنسوة الاعداء

سقط من سترته الزرقاء .. الأرقام !

بشي في الأسواق : يبشر بنيوته الدموية

بأن وقف على درجات القصر الحجرية

يقول لنا : ان سليمان الجالس منكفئا

بوق عصاه

قد مات ! ولكننا نحسبه يغفو حين نراه !!

أواه .

قال .. فكمنناه ، فقأنا عينيه الذاهلتين

وسرقنا من قدميه الخفين الذهبيين

وحشرناه في أروقة الأشباح المزدهمة

(صوت) :

ونسينا يا ايلول الكلمة .

في سورية

كانت تنهاى رايات أمية

فرغتها علماً علماً .. ووقعنا في أسر الروم

لكننا في طابور الأسرى المهزوم

كنا ننتظر زياد بن أبيه

نيمود ، فينقذنا مما نتسرل فيه .

كنا لبصر وردتنا الصابحة الحمراء

تنمو في شرفة بيت في حلب الشهباء

وظلمنا ننتظر .. تطول الأظفار .. ويبيض

السالف

.. ذات صباح عاصف

كنا نشرب حين أتتنا الأنباء

.. فتعكر لون الماء !

(جوقة خلفية) :

فحلت اللعنة !

الأمراء الصم

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

... ..

لم يبق إلا « الداخل »

يعبر نهر الدم !

والأمراء الصم

ماتوا على المداخل

... ..

ماتوا على المداخل

لم يبق إلا « الداخل »

(٣)

لو زرت دمشق

لوقفت على أبواب « المزه » ولتابع

الطرق

ودلفت الى غرفات التعذيب ..

(صوت) :

ورأيتك تضحك يا أيلول وأنت على

الأخشاب تدق .

فلقد أبصرتك في آخر ليلة

مصلوباً تتأرجح في باب زويلة !

ولمست أصابع قدميك هنيهات ما بين

الدهشة والتكذيب

وحشوت جراحك بتراب الأرض المذبة

ولفقتك في الرايات المنكودة

وحملتك حتى واهبتك في مقبرة

الصمت .. وراء الشرق .

لكنى أسمع صوتك في الليل ؛ تغنى

يا ايلول

في ضجة المذياع

يخف صوت الحق !

فمن يقول الصدق .

(جوقة خلفية) :

كى نزهف الأسماع ؟

... ..

من ذا يقول الصدق

كى نزهف الأسماع ؟

فضجة المذياع

تخفت صوت الحق !

... ..

يخفت صوت الحق

تجعل من تجويفات عظام الموتى : قصبات
الأرغول

فيجىء غناؤك . ممزوجاً بنحيب !

(الجوقة) :

هذا العام ..

أعطينا جرحانا آخر ما يملكه الصيف من
الأنسام

وبقينا فى المهد المختنق المبحوح .

لكننا من كل ضريح

ننتظر الريح !

... ..

فمن يقول الصدق ؟

... ..

(صوت) :

ننتظر الريح

من كل ضريح

... ..

من كل ضريح

ننتظر الريح

... ..

(سبتمبر ١٩٦٧)

(١)

عرفت هذه المدينة الدخانية .

مقهى فمقهى .. شارعاً فشارعاً

رأيت فيها (اليشمك) الأسود والبراقعا

وزرت أوكار البغاء واللصوصية !

على مقاعد المحطة الحديدية ..

نمت على حقائبي فى الليلة الأولى

(حين وجدت الفندق اللئيم مأهولاً ؟)

وانقشع الضباب فى الفجر .. فكشفت البيوت والمصانع

والسفن التى تسير فى القناة ؛ كالأوز ..

والصائدين العائدين فى الزوارق البخارية !

• • •

(رأيت عمال « السمد » يهبطون من قطار « الحجر » العتيق

يعتصمون بالمناديل التراثية

يدندنون بالمواديل الحزينة الجنوبية

ويصبح الشلوع .. درياً .. فزقافاً .. فمضيئ

فيدخلون في كهوف الشجن العميق

وفي بحر الوهم : يصطادون أسماك سليمان الخرافية !

• • •

عرفت هذه المدينة ؟

سكرت في حاناتها

جُرحت في مشاحناتها

صاحبت موسيقارها العجوز في (تواشيع) الغناء

رهنت فيها خاتمي .. لقاء وجبة العشاء

وابتعت من « هيلانة » السجائر المهرية .

وفي « الكبانون » سبحت

واشتهيت أن أموت عند قوس البحر والسماء !

وسرت فوق الشعب الصخرية المديبة

ألقط منها الصدف الأزرق والقواقع .

وفي سكون الليل ؛ في طريق « بور توفيق »

بكيت حاجتي الى صديق

وفي أثر الشوق : كدت أن أصير .. ذذبذة !

(٢)

والآن ؛ وهي في ثياب الموت والفداء

تحصرها النيران .. وهي لا تلين

أذكر مجنسى اللاهي .. على مفاهي « الأربعين »

بين رجالها الذين ..

يقتسمون خبزها الدامي . وصمتها الحزين

ويفتح الرصاص — في صدورهم — طريقنا إلى البقاء .

ويسقط الأطفال في حاراتها

تقبض الأيدي على خيوط « طائراتها »

وترنخي — هامة — في بركة الدماء .

وتأكل الحرائق ..

بيوتها البيضاء والحدايق ..

ونحن ها هنا .. نعص في لجام الانتظار !

نصغي الى أنبائها .. ونحن نحشو فمنا ببيضة الافطار !

تسقط الأيدي عن الأطباق والملاعق

أسقط من طوابق القاهرة الشواهي

أبصر في الشارع أوجة المهاجرين

أعانق الحنين في عيونهم .. والدكريات

أعانق المحنة والنبات .

... ..

هل تأكل الحرائق

بيوتها البيضاء والحدائق
بينما تظل هذه « القاهرة » الكبيرة
آمنة .. قريه ؟!

تضيء فيها الواجهات في الحوانيت ، وترقص النساء ..
على عظام الشهداء ؟!

يوميات كهل صغير السن

- ١ -

أعرف أن العالم في قلبي .. مات !
لكني حين يكف المذايغ .. وتنغلق الحجرات :
أش قلبي ، أخرج هذا الجسد الشمعي
وأسجيه فوق سرير الآلام .
أفتح فمه ، أسقيه نبيذ الرغبة
فلعل شعاعاً ينبض في الأطراف الباردة الصلبة
لكن .. تنفتت بشرته في كفى
لا يتبقى منه .. سوى : جمجمة .. وعظام !

- ٢ -

تنزلقين من شعاع لشعاع
وأنت تمشين — تُطالعين — في تشابك الأغصان في الحدائق
حاملة .. بالصيف في عُرفات شهر العسل القصير في الفنادة
ونزهة في النهر ..
واتكأة على شراع !

.. وفي المساء ، في ضجيج الرقص والتعانق

تنزلين من ذراع لذرّاع !

تنتقلين في العيون ، في الدخان العصبي ، في سخونة الإيقاع

وفجأة .. ينسكب الشراب في تحطم الدوارق

يل ثوبك القَرَأشي .. من الأكمام حتى الحاصرة !

وحين يُفغر المغنى فمه مرتبكا

تنفجرين ضحكا !

تشتعلين ضحكا !

وتخلعين الثوب في تصاعدات النغم الصارخ .. والمطارق

وتخلعين خُفك المشتبك

ثم ...

تواصلين رقصك المجهن .. فوق الشُّطَيات المتناثرة !!

- ٣ -

عينا القطرة تنكمشان ..

فيدق الجرسُ الخامسة صباحا !

أتمسّس ذقني النابتة .. الطافحة بثُورا وجراحا

(.. اسمع خطو الجارة فوق السقف

ذقّ الأعطية ، خيرُ الصنبور

حشخشة المذياع ، عدوية جسدِي المهور

(.. والخطو المتردد فوق ليس يكف .. !)

لكنى في دقة بائعة الألبان :

تتوقف في فكى .. فرشاة الأسنان !

- ٤ -

في الشارع ..

تلاقى - في ضوء الصباح - بظلي الفارغ :

تتصافح .. بالأقدام !

- ٥ -

حبيتي ، في الغرفة المجاورة

أسمع وقع خطوها .. في راحة وجيئة

اسمع قهقهاتها الخافتة البريئة

اسمع تمنايها المحاذرة

حتى حفيف ثوبها ؛ وهي تدور في مكانها .. تهم بالمغادرة

(.. يومان ؛ وهي إن دخلت :

تشاغلّت بقطعة التطريز ..

بالنظر العابر من شباكها الى الافريز ..

بالصمت إن سألت !)

.. وعندما مرت على ؛ بقعة مضيئة ؛

أنت وراء ظهرها .. تحية انصرافها الفاترة

فاحتقنت أذناي ، واحتبأت في أعمدة الوظائف الشاغرة

حتى تلاشي خطوها .. في آخر الدهليز !

- ٦ -

أطرق باب صديقي في منتصف الليل

(تلب القطعة من داخل صندوق المضلات)

كل الأبواب ؛ العلوية والسفلية ، تفتح إلا .. بابه

وأنا أطرق .. أطرق

حتى تصبح قبضتي المحمومة خفاشاً يتعلق في بندول !

... ..

يتدفق من قبضتي المجروحة خيط الدم

يتفرق .. عذباً .. منساباً .. يتساند في المنحنيات

تغتسل الرئتان المتعبتان من اللون الدافئ ،

ينفث السّم ..

يتلاشى الباب المغلق .. والأعين .. والأصوات

... وأموت على الدرجات !!

تدق فوق الآلة الكاتبة القديمة

وعندما ترفع رأسها الجميل في افتراق الصفحتين

تراه في مكانه المختار .. في نهاية الغرفة

يرشف من فنجانه رشقه

يريح عينيه على المنحدر الثلجي ، في انزلاق الناهدين !

(.. عينيه هاتين اللتين

تغسل آثارهما عن جسهما — قبيل أن تنام — مرتين !)

وعندما ترشقه بنظرة كظيمة

فيسترد لحظة عينيه : يتسم في نعومة

وهي تشد ثوبها القصير فوق الركبتين !

... ..

.. في آخر الأسبوع

كان يُعدّ — ضاحكا — أسنانها في كفيه

فقرصت أذنيه ..

وهي تدس نفسها بين ذراعيه .. وتشكو الجوع

- ٨ -

حين تكونين معي أنت :

أصبح وحدى ..

في بيتي !

... ..

- ٩ -

جاءت إليّ وهى تشكو الغثيان والدوار
(.. انفقْتُ راتبي على أقراص منع الحمل !)
ترفع نغوى وجهها المبتل ..
تسألنى عن حل !

... ..

هنأني الطبيب ! حينما أصطحبْتُها اليه في نهاية النهار
رجونه أن يُنهي الأمر .. فتأرّ (.. واستدار يتلو قوانين
العقوبات علىّ كي أكفّ القول !)
هامش :

أفهمته أن القوانين تُسنّ دائماً . لكى تحرق
أن الضمير الوطنى فيه يعمل أن يقلّ النسل
أن الأثاث صار غالياً لأن الجذب أهلك الأشجار
لكنه .. كان يخاف الله .. والشرطة .. والتجار !

- ١٠ -

في ليلة الزفاف ؛ في التوهج المرهق

ظلت تُدير في الوجوه وجهها المنتصر المشرق

وحين صرنا وحدنا — في لحظة الصمت الكثيف الكلمات

داعبت الخاتم في اصبعها الأيسر ، ثم انكمشت خجلى !

(.. كانوا — وراء الباب — يكتسون النور والظلاً

وتخلع الراقصة الشقراء عريها .. وتحسب الهبات !)

قلت لها « ما أجمل الحفلا »

فاطرت باسمّة الغمازتين والسمات .

وعندما لمستها : تنلجت أطرافها الوجلى !

وانفلتت عجلي .. !

كأنها لم تذق الحب .. ولم يثر بصدرها التنهدات !!

- ١١ -

مذ علّقنا — فوق الحائط — أو سمة اللهفة

وهى تطيل الوقفة في الشرفة !

واليوم ..

قالت إن حبالى الصوتيّة تقلقها عند النوم !

.. وانفردت بالرفة !!

- ١٢ -

في جلسة الافطار ، في الهنية الطفليّة المبكرة

أعصب عيني بالصحيفة التى يُدسها البائع تحت الباب

وزوجتي تبدأ تُرثرثها اليومية المتأخرة
وهي تقصبُ شأنيها الفاتر في الأكواب !
(.. تقص عن حارتها التي ارتدت ..
وجارها الذي اشترى ..

وعن شجارها مع الخادم والبواب والقصاب ،
.. ثم تشد من يدي : صفحة الكُرّة !

- ١٣ -

.. العالم في قلبي مات .

لكني حين يكف المذباغ ؛ وتغلق الحجرات :
أخرجه من قلبي ، وأسجيه فوق سريري
أسقيه نبيذ الرغبة

فلعلّ الدفء يعود الى الأطراف الباردة الصلبة
لكن .. تفتت بشرته في كفي
لا يتبقى منه سوى .. حميمة .. وعظام !
... وأنام !!

(١٩٦٧)

اجازة فوق شاطئ البحر

أغسطس ،

الاسكندرية :

واليودُ ينشع في رثتين ..
يسدُ مسامهما الربو .. والأثرية !

...

طفولة « مايو » شيخ ،

وفي الصبح : نرفع راياتنا البيض للبحر .. مستسلمين ،
لينحترنا الملح ، يمنح بشرتنا التمش البرصى ،
ونفرش أبسطة الظهير ، نجلس فوق الرمال ،
نمزج في حزننا الغامض الشبقي .. لكي يتوهج !
(.. حين همنا بامساكه : احترقت يدنا !) ،

نتلمس ندى البكارة .. كيف تجف النظارة فيه ،
فيفرز سماً .. ودوداً يعيث بتفاحة معطبة ؟

... .. .

وفي الليل . نخفض راياتنا ..

ننقضُ الهدنةَ الأبديةَ ،

نجرؤ أن نتساءل « هل نحن موتى » ؟

وجولأنا في الملامى ،

اهتزازأنا في الترام ،

تلاصقنا في ظلام المداخل ،

ذذبذة النظرات أمام المعارض والعابرات الرشيقات ،

مركبة الخيل حين تسير الهوينى بنا ،

الضحكات ، النكات :-

بقايا من الزيد المر .. والرغوة الذاهبة !!؟

« نرى نحن موتى .. »

وننشب أنيابنا في الطيور المهاجرة المتعبة !!

(٢)

صديقى الذى غاص فى البحر .. مات !

فحططته ..

(.. واحتفظت بأسنانه ..)

كل يوم إذا طلع الصبح : أخذ واحدة ..

أقذف الشمس ذات الحيا الجميل بها ..

واردد : « يا شمس ! أعطيك سنته اللؤلؤة ..

ليس بها من غبار .. سوى نكهة الجوع !!

رُدِّيهِ ، رُدِّيهِ .. يَرَوْ لنا الحكمة الصائبة !

ولكنها ابتسمت بسمه شاحبة !

.....

وكانت على البحر راية حزين ، وغضبة ريح

ونحن — مع الصمت — نعمل جثمانه فوق اكتافنا ،

ثم نهبط فى طرقات المدينة ،

نستوقف العابرين ،

نسألهم عن طريق المدافن .. والرحلة الخائبة !

ولكننا فى النهاية ..

عدنا الى شاطئ البحر .. والراية الغاضبة !!

• • •

بدايتنا البحر ..

— حين قصدنا المقابر ! —

كيف رجعنا إليه ؟

وكيف الطريق اشتبه ؟

(١٩٦٦)

موت مغنية مغمورة

صوت (١) :

أغلقى المذياع ؛

هذا زمن السكينة ،

« سالومى » تغنى ..

من ترى يحمل رأس « المعمدان » ؟

...

في انكسارات الظلال ..

تبدأ الأحزان في أعماقنا إيقاعها الهادى ،

تصحو الرغبة المرتعشة .

تتوالى قطرات الصمت من صنوبرها الفضى ،

كفى ترسم في صفحة ماضينا .. الدوائر

صورةً لامرأة تجلس في البهو — تحوُّك الصوف —

في مئزرها البيتى ، لفاء الضفائر

نقرات المطر العذبة في النافذة البيضاء ،

دقُّ الدفء من تمتمة القطعة ،

موسيقى السكون الموحنة

مركبات الغد تدنو في الخيال ..

تسهل الأفراسُ عند الباب :

— « أين القادمون ؟ »

— الليل .. الوحدة .. والشوق المحال !

(تقاسيم) :

عقب استعراضها الفاشل .. لم تخلع رداء الرقص ،

ظلت خلف أستار « الكواليس » ،

تُرْدُ السحب الزرقاء عن أعينها ، تبكى شباباً ..

كانت المنعة فيه : قطعة الجبن .. وكأسين من « الروم »

لكى تمرح في غرفة ريفي من الطلاب ..

لا تملك يمناء سوى الكسرة والتبغ الرخيص ،

— الآن يمشى خلفه .. سرب من الأطفال ،

عند النوم يسطون على منظره الطيب .. حتى لا يرى

وجهها صافٍ .. وعيناها غديران من الحزن ،

ويهدنو الخادم الأسمر ، يلقي باقة الورد ،

ويلقى دعوة للسهر ..

(. الآن متمضى ،

وغدا سوف يوافيها الطبيب — الموت والاجهاض —

هذا شهرها الثالث . رغم الحذر الشائع !
حتى أنت يا أفراس منج الحمل !؟
ما من أحد في هذه الدنيا جدير بالأمان !

منفرد

مَنْ يَفْتَرِسُ الْحَمْلَ الْجَانِحَ
غَيْرُ الذَّبِّ الشَّبْعَانِ ؟
ارتاح الربُّ الخالقُ في اليوم السابع
لكن .. لم يسترج الانسان

صوت (٢) :

وحدها .. تساقطُ الدمعة من عين الليال
بعد أن علقها الوهم طويلا ..
وحدها ؛ سرعان ما ترشفها الأرض ؛
وينساها الرجال
شربوا قهوتها المرة ، والمذايغ مازال يغنى !
والمصاييح تُضاه !

الموت في لوحات

(١)

مصفوفة حقايبى على رفوف الذاكرة .
والسفر الطويل ..
يبدأ دون أن تسير القاطرة !
رسائل للشمس ..
تعود دون أن تمس !
رسائل للأرض ..
ترد دون أن تُفَضَّ !
يميل ظلي في الغروب دون أن أميل !
وها أنا في مقعدى القائط .
وريقة .. وريقة .. يسقط عمري من نتيجة الحائط
والورق الساقط
يطفو على بحيرة الذكرى ، فتلتوى دوائرنا
وتختفى .. دائرة .. فدائرة !

(٢)

شقيقتى « رجاء » ماتت وهى دون الثالثة .

ماتت وما يزال في دولا ب أمي السرى .
صندلها الفضى !

صدارها المشغول ، قرطها ، غطاء رأسها الصوفى
أرنبا القطنى !

وعندما أدخل بهو بيتنا الصامت
فلا أراها تمسك الحائط .. عليها تقف !
أنسى بأنها ماتت ..
أقول . ربما نامت ..

أدور في الغرف .

وعندما تسألنى أمي بصوتها الخافت
أرى الأسى في وجهها الممتنع الباهت
وأستبين الكارثة !

(٣)

عرفتها في عامها الخامس والعشرين .
والزمن العنيد ..

ينشب في أحشائها أظفارَه الملوثة .
صلت إلى العذراء ، طوفت بكل صيدلية
تقلب بين الرجال الخشنين !
.. وما تزال تشتري اللغائف القطنية !

.. ما تزال تشتري اللغائف القطنية !
... ..

وحين ضاغت أباه ليلة الرعد
تفجرت بالخصب والوعيد
واختلجت في طينها بشاره التكوين !
لكنها نادى أباه في الصباح ..
فظل صامتا !
هزته .. كان ميتا !!

(٤)

من شرفتي كنت أراها في صباح العطلة الهادئ
تنشر في شرفتها على خيوط النور والغناء
ثياب طفليها ، ثياب زوجها الرسمية الصفراء
قمصانه المغسولة البيضاء .
تنشر حولها نقاء قلبها الهانيء
وهي تروح ونحيء .

... ..

والآن بعد أشهر الصيف الرديء
رأيتها .. ذابطة العينين والأعضاء
تنشر في شرفتها على حبال الصمت والبكاء

(٥)

حببتي في لحظة الظلام ؛ لحظة التوهج العذبة

تصبح بين ساعدتي جثة رطبة !

ينكسر الشوق بداخلي ، وتخفت الرغبة

أموء فوق خدها

أضرع فوق نهدها

أود لو أنفذ في مسام جلدتها

لكن .. يظل بيننا الزجاج .. والغياب .. والغربة !

.....

و ذات ليلة ، تكسرت ما بيننا حواجز الرهبة

فاحتضنتني .. بينا نحن نفوس في قرارة التربة

تبعثرت في رأسها شرائح الصورة والنجوم

واختلطت في قلبها الأزمنة المشيم

لكنها وهي تناجيني

سمعتها تنادييني

باسم حبيبها الذي قد حطم اللعبة

مخلفا في قلبها .. ندبة !!

بطاقة كانت هنا

(١)

المنزل الثالث بعد المنحنى

الطابق الأخير .

بطاقة صغيرة كانت هنا

وخيط ضوء كان من خلال بابها ينير !

الطابق الأخير ..

الوحشة السوداء في الأعصاب تنفوس

يدى على الجرس :

سدى .. سدى !!

تراجعت في أذني رحلة الصدى

وأساقت الرماد من لفاتي !

كانت هنا حببتي

عيونها محابر الضياع

عام .. وعامان .. مداها الحزين لم يجف

صلاة هرة إلى الشتاء خلف باب

وبسمة كأن نورساً على المدى يرقأ !
ها أنذا ..
يدّ تساندت على الجدار .
وخطوة تهبّط للقرار !

(٢)

حانوث خمّار كئيب
يرسم في كوسه عرائس الأحلام ؛ في الزجاج
توهجت عند امتلائها ..
وبعد برهة .. علاودها الشحوب !
حبيبتى ملاح ابتسامية على يرققها الوهاج
« بنلوب » أين أنت يا حبيبتى الحزينة ؟
صيفان ملحدان في مخاطر الأمواج
كقبضية من العفونة ..
أعود ، كى يغتسل الحنين في بحيرة اللهب .
لكننا « بنلوب » ..
بطانة كانت هنا !
ووحشة غريبة ، وثقب باب لم يعد يضيء !
وعنكبوت قد أنتم — فوق ركنه — نسيجه الصوفى !

لقد أتمّ العنكبوت ما بدأت في انتظارك الوفى !
ما كان كان ..
لكننا ملاح الزجاج
لا تعرف النسيان !

(٣)

الليل عند المنتصف
يا سائق السيارة العجوز .. قف
المنزل الثالث بعد المنحنى ..
لكنها يا صاحبي العجوز .. لم تعد هنا !
امض هناك حيث لا مكان
حيث البيوت دوغما عنوان
أوغل بنا في رحلة السراب
قافلة الغناء تستعد للمسير خلف دورة المضارب
لا تسأل الحادين عن وجهتها ، عن المآب
فهم هناك يرقبون أصبع النجوم
ضاعت معالم الطريق في الضباب .
حبيبتى لا بدّ أنها هناك
تسأل عن رواحل ارتدت من الغروب
لا ترتبك ، فقد يصيب العمر في عنية ارتباك .

حبيبتى : لقد نخبوت من « سدوم »
طفلك آت من مدينة الخراب
الموت ما يزال مقعياً على الأبواب
الخاطئون .

هم الذين يرحلون
في هذه القافلة المسدودة الدروب
... ..
سدى .. سدى ..

تراجعت في أذننى رحلة الصدى
وأساقط الرماد من لفافتى .

ظماً .. ظاً

جسدى : صخرة صهرتها الظهيرة .
حلقها يتفتت ،
والبحر بعد ذراعين .. بعد السماء !
فرسُ الموج تنفض أعرافها البيض ،
تعدو بمركبة الزرقة اللهبية ،
لكنها تتحطم فزق الحواجز .. تهوى كسيرة !
أكشف الرأس تحت الرذاذ ،
أمدُ يدي حاملاً كويى الفارغ الورقى ..
لتسبح فيه الفقايع ذات العيون الصغيرة
عطش .. عطش ، والنداء .
خنجر في الهواء !
حين صار فمى فضة : وقف البيغاء ..
عارياً .. نزعت ريشته يدها المحنقة .
قالت الزنبقة :
« أرخ عينيك .. وافتحهما .. »
ثم .. لم ألفها في شجيرتها المطرقة !

شعرها طائر جرفته الرياح

شعرها والوشاح

وهي تعدو .. وما بيننا الصمت والقشعريرة !

كل من شربوا .. هربوا دون أن يدفعوا ثمناً للعزاء

رَحَلوا .. بعد أن قلبوا في التراب الاناء .

ووفدت على الحانٍ : لم أر غير الحطام ..

وذبال المصاييح .. والقط يعث بالفضلات الأخيرة .

— سيدى : مُلكك الحزن والكبرياء

خيطة ؟ انقطع الخيط منك ،

وعصفوره قرّ دامي الجناح !

أمراء المدينة مروا إلى الصيد عند الصباح

الفريسة تجرى .. ولكن كلبك يُرخى الذئب

وهو يكتم في رثيته النجاح !

في سكون المساء

كنت أنقر عين الشهيد المحسّم فوق الثُصْب

حين مرّ السكارى .. يدورون في حلقات الصخب

يبدأون الغناء:

« يا عيون النساء »

« أمطرى .. أمطرى »

« من تُرى تشتري خنجري »

« لتخبئه في حقيبتها .. »

« ثم تبقر بطن غريمها المومياء ؟ »

(. أيها الأشقياء !)

.. مرّى التائه المغترب

فتمدد فوق الحشائش .. ملتصقاً بالرخام

وتوسد دمعته ، ثم نام .

(ظمىء الناس للدم في كل قلبٍ محب ..

فاسقهم يا غلام !)

مرّى غاسلو الطرقات

فأداروا خراطيمهم ، غسلوا الثُصْب الحجريّ ،

.. وكنت على الدرجات

أناؤه مرتعشاً ، وثيائى تلصق في جسدى المضطرب

والرياح تمه ، وتصفعنى بالعواء .

... ..

أهلّى الغرباء .

عثروا لى مع الصبح ، أهذى بغيوبة الموت ،

محتقن الوجه ، خاوى الوفاض

يتفتت حلقي لقطرة حُب ..

غير أن الينابيع جفت بعينى ، والبحر غاض ..

ويهوى البياض !

الحزن لا يعرف القراءة

تأكلنى دوائرُ القُبار .
أدور فى طاحونة الصمب ، أذوب فى مكانيّ المختار
شيئاً فشيئاً .. يختفى وجهى وراء الأفتة
أعمدة البرق التى تطل من نوافذ القطار
كأنها سربُ إوزٍ أسود الأعناق
يطلق فى سكينتي صرخته المروعة
ويختفى .. متابعاً رحلته مع التيار !
(صوتك كان ؟
أم نعاُسُ الشهوة الماكر ما بين انفراج الشفتين ؟
هذا الذى يشبك قلبى خاتماً .. تحت نعومة القفاز
حتى إذا اغتسلت — فى نهاية السهرة — من لزوجة الألفاظ
تجيبينه على نافذة الحمام .. يستعيد ذكرياته ..
ويسترد الزمن الضائع بين الصورتين !)

توقفى أينما الأشرطة البيضاء
فقد نرى الحيط الذى خلفه الثعبانُ فوق الصحراء

قد نرى عظام من ماتوا من الظمأ

قد نرى .. وقد نرى ..

كنها الأشياء ..

دب فيها نبضها الوجع ، نبضها المكبوت

لذرو على وجهي دقيق دفتها ..

مزقاً من ورقات التوت .

شرع في العيون صولجانها المكسور بالصدأ

في المقاهي ترفع الصوت ، وتعكس عن فضائح البيوت !

- في آخر العمر ، تصير الأذن عادة ..

سلة مهملات .. !

ooo

(جوارب السيدة المرتجة

ظلت تثير السخرية

وهي تسير في الطريق .

وحين شدتها : تمزقت ..

فانفجر الضحك ، ووارت وجهها مستخذية .

وهكذا أسقطها الصائد في شباك سيارته المفتوحة

فارتبكت وهي تسوى شعرها الطليق

وأشرقت بالبسمات الباكية !)

ooo

لقد فقدت مقعدى .. قبيل أن يرتفع الستار

وانكسرت في داخلي الرغبة في استرداده ، الرغبة في الشجار

فكل شيء يرتجى في لحظة التأهب المرتقبة

وتعبت الأيدي بأزرار قميصها المذهبة

وتنطفئ فقاعة السخط .. ببسمة اعتذار !

شيئاً فشيئاً .. غاب عن قلبي خيط الضوء !

واللحظة الملتبئة !

والنشوة الأولى التي تشد الظهر ..

حين يدق سمعنا إيقاع خطو امرأة مقتربة !

وضحكة العذراء عندما يرشها رذاذ البحر !

والألم الذي يهضرنا لطفلة عرجاء !

والدفء في استغراق كهل جالس ، يحل في هدوء ..

مسابقات الكلمات .. !!

ooo

رءوسنا تسقط .. لا يسندها ..

إلا حواف الياقة المنتصبة !

فارحم غذائي أيها الألم ..

واسند حطامى المنهار .

بكائية الليل والظهيرة

- ١ -

في كل ليل ..

تخلع الذكرى ملابسها المبهرة القديمة ،
تستحم برششات الضوء ؛ تفصل فيه ، وعناء الطريق
وتسترد نضارة الألوان .. والمرح العديم .
نديانة .. كالظل ، تخلع حُفها المبلول ،
تستلقي جوارى في الظلام ؛ تضى بشرتها :
برائحة التوغل في الحقول ..
برعشة القمر المورجج في مرايا النيل ..
بالقطرات تلمع في منابت شعرها المحلول ..
بالنبض الخجول .. يرف في استدفائها ..
باللغة الغناء في الصوت الرخيم
.. وذراعها يلتف : يرتعش التوهج تحت لمسته .
وتقلع آخر السفن المقدسة المضيفة من مرافئها ؛
تشق النهر ؛ تنثر ما تبقى من رمادى :
فوق أذرعة الخريف البائسات .. فتكتسى ،

فوق الشفاه اليابسات .. فترتوى ،
فوق المروج .. فتنتوى في الليل موسيقى الجنادب ،
في الحظائر .. يهدأ المهرُ الحرون ،
على مناقير الطيور .. فتقطع الأفراخ من توت الغناء الحلو
في عقم السماء .. فتنبض البشرى ، وتنعقد الغيوم .

ooo

يا دقة الساعات
هل فاتنا .. مافات ؟
ونحن مازلنا ..
أشباح أمنيآت
في مجلس الأموات ؟!

ooo

- ٢ -

فاض النهارُ بنا ، فمزق عن تصوفنا معاطفنا ،
والقانا على أعتاب مملكة التهمة ، والذباب يطنُ ،
والكلمات : أقداح مكسرة الحواف ..
إذا لثمنها .. تجرحت الرؤى !
والصمت : قضبان محمأة على وهج البكاء .
(فاض الاناء ، وعامل البرق الصغير يدق باب .. ت ؛

« — آو .. وتسقطُ الشمسُ الصغيرةُ عن رداءِ النومِ
تبكى المرأةُ الأنقى على كتفِ العشيِّ ،
وتستزيد من البكائيات ، تلقم صدرَها العارى يديه ..
— لعله يبنى بها بعد الحداد ! —
تدير عينيها اللتين تندتا .. فأذابتا بقعِ الطلاء ؟)

كان الطريق يدير حَنَ الموت — كان جهنمى الصوت — :
فوق شرائط التسجيل ..
في أسلاك هاتفه المختلِّب ..
في صرير الباب من صدأ الغواية ..
في أزيز مراوح الصيف الكبيرة ..
في هدير محركات الحافلات ..
وفي شجار النسوة السوقى في الشرفات ..
في سأم المصاعد ..
في صدى أجراس إطفائية تعدو .. مصلصلة النداء .
(.. كوني إذن ما شئت :

ساقطة تلور على مواخير الموائى ،
وجه راهبة تضاجع صورة العذراء ،
أماً تأكل الأطفال ،

كوني أى شئ — فيه نفوس خبزنا الحجري — ملتهب
الدماء !)

تدمُ الغبار يلح فوق وجوهنا ،
ونلوذ بالجدران نحفر فوقها أسماءنا .. لكنها تتفتت !
الجدران وهم ..
والرجال الملققون على مساحة صفحة الإعلان ،
والصور الثمينة في المعارض ، والنقوش على المعابد ،
والوسام العسكري لأنبيل الشهداء ،
والزهو الذى يندس في رحم النساء .
(.. تلك المرارة :

سممت جلسات شاي العصر ..
سممت انتعاشتنا بلسع الماء في حمامنا الصيفي —
سممت البراءة في تساؤل طفلنا من أين جاء !)

يا آخر الدقات
قولى لنا .. من مات .
كى نحتسى ذمّه
ونختم السهرات

- ٣ -

ماذا تخفىء في حقيبتك العتيقة .. أيها الوجه الصفيق
أشهادة الميلاد ؟

أم صكّ الوفاة ؟

أم التميمة تطرد الأشباح في البيت العتيق ؟

ماذا تخفىء أيها الوجه الصفيق ؟!

ماذا تخفىء أيها الوجه الصفيق ؟!

(١٩٦٦)

أشياء تحدث في الليل

إلى صلاح حسين ..

رخاوة النعاس تغمر المسافرين في قطار الليل .

.. وفي حقول قرية بعيدة

شق السكون — فجأة — غواء ذئب

وانعقد الحليب في الضروع

وانطلق رصاصة :

فكفت الأشياء — بعدها — عن الوجيب ..

هنيئة ، ثم استعادت نبضها الرتيب ..

وكانت الليلة .. لا تزال مقمرة !

(كان النشيد الوطني يملأ المذياع منبهاً برامج المساء)

وكانت الأضواء تنطفئ ..

والطرقات تليس الجوارب السوداء

وتغمر الظلال روح القاهرة .)

والدم كان ساخناً يلوث القضبان

هذا دم الشمس التي ستشرق ، الشمس التي ستغرب ،

الشمس التي تأكلها الديدان !

دُمُ القَتِيلِ أَحْمَرُ اللَوْنِ ،
 دم القَتِيلِ أَخْضَرُ الشَّعَاعِ
 خِيطٌ عَلَيْهِ تُنْشَرُ الدَّمُوعُ .. كَيْ تَحْفَ فِي أَشْعَةِ الصَّبَحِ
 (وَكَانَ مَبْنَى الْإِتِّحَادِ صَامِتاً .. مَنْطَفِئَةً الْأَضْوَاءُ
 تَسْرِي إِلَيْهِ مِنْ عَيْرٍ « هِيلْتُونُ الْقَرِيبُ » ..
 « أَغْنِيَةً طُرُوبٌ ! »)
 وَكَانَ وَجْهَهُ النَّبِيلُ مَصْحَفاً عَلَيْهِ يُقْسَمُ الْجِياعُ
 وَكَانَتِ الذَّرَاعُ ..
 فَارَعَةً ، كَأَنَّ مَحْرَأَةً يَشُقُّ الْأَرْضَ !
 كَانَتِ الذَّرَاعُ ..
 ضَامِرَةً .. كِبْذَرَةَ الْقَمَحِ
 ضَامِرَةً كَالسَّنَةِ الْأُولَى الَّتِي تَنْبُتُ فِي فَمِ الرُّضِيعِ !
 (وَكَانَتِ الْمَطَابِغُ السُّودَاءُ تُلْقَى الصِّحْفُ .. الْبَيْضَاءُ
 وَصَاحِبَانِ فِي تَرَامِ الْعُودَةِ الْكُسُولِ
 يَخْتَصِمَانِ فِي نَتَائِجِ الْكَرَةِ .
 وَفِي طَرِيقِ الْهَرَمِ الطَّوِيلِ .
 تَبَادَلَتِ سَيَارَتَانِ — كَادَتَا فِي اللَّيْلِ أَنْ تَصْطَدَمَا —
 السَّيَّابُ !)

...

وَفِي الصَّبَاحِ ، وَالنَّشِيدُ الْوَطَنِيُّ يَمْلَأُ الْأَسْمَاعَ
 كَانَ قَرَّاشُ الْحَقْلِ يَبْدَأُ النِّشِيجَ
 وَكَانَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْقُرَى .. جَنَائِزَةً الْإِبْقَاعِ
 وَرَحْلَةً الْمَوَالِ فِي الضَّلُوعِ تَفْرِدُ الْقُلُوعَ :
 « أَدْهَمَ مَقْتُولٌ عَلَى كُلِّ الْمَرْجُوحِ »
 « أَدْهَمَ مَقْتُولٌ عَلَى الْأَرْضِ الْمَشَاعِ »

 وَكَانَ وَجْهَهُ النَّبِيلُ مَصْحَفاً ..
 عَلَيْهِ يَقْسَمُ الْجِياعُ !

العشاء الأخير

بكائية :

أعطني القدرة حتى ابتسم ..
عندما ينغرس الخنجر في صدر المَرَح
ويدب الموت ، كالقنفذ ، في ظل الجدار
حاملاً مبخرة الرعب لأحداق الصغار .
أعطني القدرة .. حتى لا أموت .
منهك قلبي من الطرق على كل البيوت
علني في أعين الموتى أرى ظل ندم !
فأرى الصمت .. كعصفور صغير
ينقر العينين والقلب ، ويعوى ..
في ثنايا كل فم !

- ١ -

« الرياح » اختبأت في القبو ؛ حتى تستريح ..
.. فيه من أرجحة الأجساد فوق المشنقة .

ووقفنا نحرس الباب ، ونحصى الأزقة
بيننا خيل الممالك تدق الأرض بالخطو الجموح
يقتفون الأثر
يسألون الدرب عن خطوة ريح فيه ؛ عن أية ريح ! .
فنغض البصر !

ومضوا ، والسنبك المجنون يهوى ، فيصب الشررا
وتواروا في الحوارى الضيقة .
.. نحن عدنا نعمل البشرى لها
وهتفنا باسمها
وهزنا كتفيها ، عبثا ..
وتدلت رأسها في راحتنا .. ميتة !
نحن كنا نحرس الباب ، ونحصى .. الالفة
وهي — تعويذتنا — لم نحمها !

- ٢ -

الخيول المرسجة . !
صهلت ، لكن هل الفرمان فرسان كما كانوا .. غدا ؟
والمهاميز التي تحملها الأقدام .. غاصت في القلوب !
وسوف ثلمت ..
فقد استأجرها النحاس .. تحمي هودجه !

وسيوف قنعت أن تتدلى عند الاستعراض .. زينة !
وحائل ..

حملتها في دياجى الليل أضلاعُ المقاصل
ودقنا نبلها المقهور في عام البكاء .

.. شبحُ الفرسان ما زال على وجه المدينة
صامتاً يأتى إذا جاء المساء
صامتاً ينفذ أطراف الرداء
ويمد الجسدا ..

فيمد الخوف في الليل يدا !

ثم يمضى ، يحمل الأكفان ، يسرى في الدروب
يحمل الأكفان أثواب ركوب !

والمهاميز التى تحملها الأقوام .. غاصت في القلوب !

- ٣ -

التحيات « مساء الموت » ياقلبي
فلا تلق التحية

— من ترى مات ؟

— أنا ..

— أنت !

— أجل .

— أنت لا تملك يوماً أن تموت .
— الحماماتُ لوث أعناقها ..
والنوى حتى لسانى بالرطان
— أنت لا تعرف من أنت ..
— أنا :

منذ أن مات ألى ..

كل من تعشقه ألى الثرىة ..

كل من تعشقه ألى : أب لى فى العباد !

— ربما « أحس » ربته امرأة .

— .. ذهبُ الشمس العجوز انصهرا

وهوى فوق نفايات الثرى

وأنا أبكى على تل الرماد !

يفتح الخلب أجفان العيون

لترى .. لكن ترى ماذا ترى ؟

(ساعة الحائط فى معبد « هاتور » .. انتهت دقائقها

وانتهت « طروادة » البكر .. على وهم الحصان !)

— .. أنا « أوزوريس » صافحت القمر

كنت ضيفاً ومضيفاً فى الويمة

حين أجلسُ لرأس المائدة

وأحاط الحرس الأسود لى

عندما يتلعب (الكورنيش) أضواء الغروب
تسعل الظلمة فيه والبرودة
يحمل الجوع إلى العار .. وليده
كلمات ..

ثم تنسل من البرد .. لدفع العربات .
والمصاييح : شطايا قمر .. كان يضيء
حطمته قبضة الطاروس فوق الطرقات
ثم أهدته إلى النسوة .. كي يصلبته فوق الصدور .
يتباهين به .. وهو رفات !
كلمات .. كلمات ..

ثم تنسل من البرد لدفع العربات .
وأنا « يوسف » محبوب « زليخا »
عندما جئت إلى قصر العزيز
لم أكن أملك إلا .. قمرا
(قمرا كان لقلبي مدفاة)
ولكم جاهدت كي أخفيه عن أعين الحراس ،

فتطلعت إلى وجه أخى ..

فتفاضت عينه .. مرتعدة !

أنا أوزوريس ، واسيت القمر
وتصفتحت الوجوه ..

وتنبأت بما كان . وما سوف يكون ؟
فكسرت الخبز ، حين امتلأت كأسى من الخمر القديمة
قلت : يا اخوة ، هذا جسدى .. فالتهموه
ودمى هذا حلال .. فاجرعوه !
خبيا المصباح عينيه .. بأهداب جناحيه ..
لكى تخفى الجريمة
وتثنى الضوء من حد الخناجر !

— ربما أحياك يوماً دمع « ايزيس » المقدس
غير أنا لم نعد نتجب ايزيس جديدة
لم نعد نصفى الى صوت النشيج
ثقلت آذاننا منذ غرقنا فى الضجيج
لم نعد نسمع إلا .. الطلقات !
(يفرض الرعب الطمأنينة فى ظل المسدس ..)
— الطمأنينة فى ظل الحداد ؟!
— سيدى .. نحن انزلقنا من ظهور الأمهات
بيد تضغط ثقب الجرح ،

ربما نُورٌ في الظلمة برهة .
غير أُنَى كُنْتُ جائع
وأنا الآن فقدتُ القمر .

... ..

جائع يا قلبي المعروض في سوق الرياء
جائع .. حتى العياء
ما الذي آكله الآن إذن ..
كى لا أموت ؟

(ديسمبر ١٩٦٣)

عن كُلِّ العيون الصدئة
.. كان في الليل يضيء !
حملوني معه للسجن حتى أطفئه
تركوني جائعاً بضع ليال ..
تركوني جائعاً ..

فترأى القمرُ الشاحب — في كفى — كعكة !
وإلى الآن .. بحلقي ما تزال ..
قطعةً من حزنه الأشيب .. تُدمنيني كشوكة !

° ° °

أعطني القدرة حتى أبتسم ..
فشعاع الشمس يهوى كخيوط العنكبوت
والقناديل تموت
قدمي تلتمس السلَّمة الأولى لكي أصدف فوقها
ويدى تلتمس الحاجز إذ أخشى السقوط
كيف أبقى ؟

غفن الموتى ؛ وأطياب الخنوط
نكهة تكسو فناء البيت ، تسرى في دمي عرقاً فعرقاً .
.. منهكٌ قلبي من الظلمة ، إني لا أرى
آه لو لم ألتهمه — القمر الشاحب — لو ..

حديث خاص مع ابي موسى الأشعري

[حاذيت خطو الله ، لا أمامه ، لا خلفه ...]

- ١ -

.. إطار سيارته ملوث بالدم !

سار .. ولم يهتم !!

كنت أنا المشاهد الوحيد

لكنني .. فرشت فوق الجسد الملقى جريدتي اليومية

و حين أقبل الرجال من بعيد ..

مزقت هذا الرقم المكتوب في ورقي مطوية

وسرت عنهم .. ما فتحت الفم !!

ooo

(حارب في جريهما

وعندما رأيتهما كلاً منهما .. متهما

خلعت كلاً منهما !

كي يسترد المؤمنون الرأي والبيعة

.. لكنهم لم يدركوا الخدعة !)

ooo

حين دلفت داخل المقهى

جردتى النادل من ثيابه

جردته بنظرة ارتياح

بادلته الكرها !

لكنني منحته القرش : فزين الوجها ..

ببسمه .. كلبية .. بلها ..

ثم رسمت وجهه الجديد .. فوق علبه النقاب !

- ٢ -

رأيهم ينحدرون في طريق النهر ..

لكي يشاهدوا عروس النيل — عند الموت — في جلوتها

الأخيرة

واغرطوا في الصلوات والبكاء .

وجثت .. بعد أن تلاشت الفقايع ، وعادت الزوارق

الصغيرة

رأيهم في حلقات البيع والشراء

يقايضون الحزن بالشواء !

.. تقول لي الأسماك

تقول لي عيونها الميتة القريرة :

ان طعامها الأخير .. كان لحماً بشرياً ..

قبل أن تحرفها الشباك !

يقول لى الماء الحبيسُ فى زجاج الدورق اللماغ
ان كلينا .. يتبادلان الابتلاغ !

تقول لى تحنيطه التمساح فوق باب المنزل المقابل
إن عظام طفلة .. كانت فراش نومه فى القاع !!

(خلعتُ خاتمى .. وسيدى .

فهل ترى أحصى لك الشاماتِ فى يدي
لتعرفينى حين تُقبلين فى غد

وتغسلين جسدى

من رَغَوَاتِ الزَّيْدِ !؟)

فى ليلة الوفاء ..

رأيتها — فيما يرى النائم — مُهرة كسلى
يسرجها الخوذى فى مركبة الكراء

يهوى عليها بالسياط ، وهى لا تشكو .. ولا تسير !
وعندما ثرتُ .. وأغلظتُ له القولا ..

دارت برأسها ..

دارت بعينها الجميلتين ..

رأيتُ فى العينين : زهرتين

تنتظران قبله . من نخلة هيض جناحها .. فلم تُعد تطير !
.. رأيتها — فيما يرى النائم — طفلة .. حبل !

رأيتها .. ظلا !

وفى الصباح : حينما شاهدتها مشدودة إلى الشراع
ابتسمت ، ولوّحت لى بالذراع

لكنى : عُثُرْتُ فى سبرى !

رأيتنى .. غيرى !

وعندما نهضتُ : ألقىتُ عليها نظرة الوداع
كأننى لم أرها قبلا !

فأطرقْتُ خجلى ..

ولم ثقلُ إني رأيتها .. ليلا !

- ٣ -

خرجتُ فى الصباح .. لم أحمل سوى سجاثرى

دسستها فى جيب سرق الرمادية

فهى الوحيدة التى تمنحنى الحب .. بلا مقابل !

رؤيا :

(ويكون عام .. فيه عتُرف السنايل والضروع
تنمو جوافرنا — مع اللعنات — من ظمأ وجوع
يتزاحف الأطفال في لعق الثرى !
ينمو صديد الصمغ في الأفواه ،

في هذب العيون .. فلا ترى !
تنساقط الأقرط من أذان عذراوات مصر !
ويموت ثدى الأم .. تنهض في الكرى
تطهو — على نيرانها — الصمغ الرضيع !!)

...

حاذيت خطو الله ؛ لا أمامه .. ولا خلفه
عرفت أن كلمتي أثقت ..
من أن تنال سيفه أو ذهبه .

(حين رأث عيناى ما تحت النياب : لم يُعد يثرى !)
قلبت — حيناً — وجهي العملة
حتى إذا ما انقضت المهلة

ألقيتها في البئر .. دون جلبة !

وهكذا .. فقدت حتى حلمه وغضبه .

(عيناك : لحظنا شروق

أرشف قهوى الصباحية من بنائها المحروق

وأقرأ الطالع !

وفي سكون المغرب الوادع

عيناك ، يا حبيبتى ، شجرتا برقوقي

تجلس في ظلّهما الشمس ، وترفو ثوبها المفتوح

عن فخذها الناصع !)

- ٤ -

.. وستبطين على الجموع

وترفرفين .. فلا تراك عيوتهم .. خلف الدموع

تتوقفين على السيوف الواقعة

تسمعين المهمات الواجفة

ومسترحلين بلا رجوع !

... ..

ويكون جوع !

ويكون جوع !

(مارس ١٩٦٧)

من مذكرات المتنبى

(في مصر)

• • أكره لون الخمر في القنينة
لكننى أدمتها .. استشفاء .
لأننى منذ أتيت هذه المدينة
وصرتُ في القصور بيغاء :
عرفتُ فيها الداء !

• • أمثل ساعة الضحى بين يدى كافور
ليطمئن قلبه ؛ فما يزال طيره المأسور
لا يترك السجن ولا يطير !
أبصر تلك الشفة المثقوبة
ووجهه المسود ، والرجولة المسلوقة
.. أبكى على العروبة !

• • يومئذ ؛ يستشدنى : أنشده عن سيفه الشجاع
وسيفه في غمده .. يأكله الصدا !
وعندما يسقط جفناه الثقيلان ؛ وينكفى .
أسير مثقل الخطى في ردهات القصر

أبصر أهل مصر ..

ينتظرونه .. ليرفعوا إليه المظلمات والرقاع !
.. جاريتى من حلب ، تسألنى « متى نعود ؟ »
قلت : الجنود يملأون نقاط الحدود
ما بيننا وبين سيف الدولة .

قالت : سمعت من مصر ، ومن رخاوة الركود
فقلت : قد سمعتُ — مثلك — القيام والقعود
بين يدى أميرها الأبله .

لعنت كافورا

وغئت مقهورا ..

• • « حَوْلَةٌ » تلك البدوية الشَّموس
لقيتها بالقرب من « أريحا »

سويعة ، ثم افترقنا دون أن نبوحا
لكنها كل مساءً في خواطرى تحبوس
يفتر بالشوق وبالعتاب ثغرها العبوس
أشم وجهها الصبوحا

أضم صدرها الجموحا !

... ..

سألت عنها القادمين في القوافل

فأخبروني أنها ظلت بسيفها تقاتل ..
في الليل تجاز الرقيق عن خبايها
حين أغاروا ، ثم غادروا شقيقها ذبيحا
والأب عاجزا كسيحا
واختطفوها ، بينا الجيران يرنون من المنازل
يرتعدون جسدا وروحا
لا يجبرؤون أن يغيثوا سيفها الطريحا !
... ..

(ساءلني كافور عن حزني
فقلت إنها تعيش الآن في بيزنطة
شريدة .. كالقطة
تصيح « كافوراه .. كافوراه .. »
فصاح في غلامه أن يشتري جارية رومية
تجلد كي تصيح « واروماه .. واروماه .. »
.. لكي يكون العين بالعين
والسن بالسن !)

• • في الليل ؛ في حضرة كافور ؛ أصابني السأم
في جلستي ثمت .. ولم أتم
حلمت لحظة بكا

وجندك الشجعان يهتفون : سيف الدولة .
وأنت شمس تختفي في هالة الغبار عند الجولة
مُتَطِّياً جوادك الأشهب ، شاهراً حسامك الطويل المهلكا
تصرخ في وجه جنود الروم
بصيحة الحرب ، فسقط العيون في الخلقوم !
تخوض ، لا تبقى لهم إلى النجاة مسلكا
تهوى ، فلا غير الدماء والبكا
ثم تعود باسماً .. ومنهكا
والصبية الصغار يهتفون في حلب :
« يا منقذ العرب »
« يا منقذ العرب »
حين تعود .. باسماً .. ومنهكا
حلمت لحظة بكا
حين غفوت
لكنني حين صحت :
وجدت هذا السيد الرخوا
تصدر البهوا
يقص في ندمانة عن سيفه الصارم
وسيفه في غمده يأكله الصدا !
وعندما يسقط جفناه الثقيلان ، وينكفي ..

تعلیق علی ما حدث

یتسم الخادم .. !
.. تسألنی جاریتی أن أکتری للبيت حرّاسا
فقد طغى اللصوص فی مصر .. بلا رادع
فقلت : هذا سيفی القاطع
ضعیه خلف الباب . متراسا !
(ما حاجتی للسيف مشهورا
ما دمت قد جاورت کافورا ؟)
.. « عید بأية حال عدت یا عید ؟
بما مضی ؟ أم لأرضی فیک تهوید ؟
« نامت نواطير مصر » عن عساكرها
وحاربت بدلاً منها الأناشيد !
نادیت : یا نیل هل تجری المياه دماً
لکی تفيض ، ويصحو الأهل إن نودوا ؟
« عید بأية حال عدت یا عید ؟
(حزيران ١٩٦٨)

في انتظار السيف !

وردة في عروة السرّة :
ماذا تلدين الآن ؟
طفلاً .. أم جريمة ؟
أم تنوحين على بؤابة القدس القديمة ؟
عادت الخيل من المشرق ،
عاد (الحسنُ الأعصمُ) والموتُ المغير
بالرداءِ الأرجواني ، وبالوجه اللصوصي ،
وبالسيف الأجير
فانظري تمثاله الواقف في الميدان ..
(يهتزُّ مع الريح . !)
انظري من فرجة الشباك :
أيدي صبيّة مقطوعة ..
مرفوعة .. فوق السّنان
(.. مُردِّفاً زوجته الحُبلى على ظهر الحصان)
أنظري خيطَ الدم القاني على الأرض :
« هنا مرّ .. هنا »

فَانْفَقَاتْ تَحْتَ تُحْطَى الْجَنْدِ ..

عَبُونُ الْمَاءِ ،

وَاسْتَلَقْتُ عَلَى التَّرْبَةِ .. قَامَاثُ السَّنَابِلِ .

آه .. هَا نَحْنُ جِياعُ الْأَرْضِ نَصْطَفُ ..

لَكِي يُلْقَى لَنَا عَهْدُ الْأَمَانِ .

يَنْقُشُ السَّكَّةَ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يُلْقَى خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ بِاسْمِ الْمَلِكِ الْغَالِبِ ،

يَرْقُ مِنْبَرُ الْمَسْجِدِ ..

بِالسَّيْفِ الَّذِي يَبْقُرُ أَحْشَاءَ الْحَوَامِلِ .

° ° °

تَلْدِينُ الْآنَ مَنْ يَحْبُو ..

فَلَا تَسْنَدُهُ الْأَيْدِي ،

وَمَنْ يَمْشِي .. فَلَا يَرْفَعُ عَيْنِيهِ إِلَى النَّاسِ ،

وَمَنْ يَخْطِفُهُ النَّخَّاسُ :

قَدْ يَصْبَحُ مَمْلُوكًا يَلُوطُونَ بِهِ فِي الْقَصْرِ ،

يُلْقُونَ بِهِ فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ ..

لِقَاءَ النَّصْرِ ،

هَذَا قَلْبُ الْمَهْزُومِ :

لَا أَرْضَ .. وَلَا مَالَ .

وَلَا بَيْتَ يَرُدُّ الْبَابَ فِيهِ ..

دُونَ أَنْ يَطْرُقَهُ جَائِبٌ ..

وَجُنْدِي رَأَى زَوْجَتَهُ الْحَسَنَاءَ فِي الْبَيْتِ الْمَقَابِلِ (

أَنْظُرِي أُمْتُكَ الْأَوَّلَى الْعَظِيمَةَ

أَصْبَحَتْ : شَرِذْمَةً مِنْ جُثَثِ الْقَتْلِ ،

وَشَحَّاذِينَ يَسْتَجِدُّونَ عَطْفَ السَّيْفِ ،

وَالْمَالُ الَّذِي يَنْتَرُهُ الْغَازِي ..

فَيَهْوَى مَا تَبَقَّى مِنْ رِجَالٍ ..

وَأَرْوَمَةٍ .

أَنْظُرِي ..

لَا تَفْزَعِي مِنْ جُرْعَةِ الْخِزْيِ ،

أَنْظُرِي ..

حَتَّى تَقِيئِي مَا بِأَحْشَائِكَ ..

مِنْ دَفْعِ الْأُمُومَةِ .

° ° °

تُفْقَرُ الْأَسْوَاقُ يَوْمَئِذٍ ..

وَتَعْتَادُ عَلَى « النَّقْدِ » الْجَدِيدِ

تشتكى الأضلاعُ يومين ..

وتعتاد على السوط الجديد

يسكت المذياعُ يومين ..

ويعتاد على الصوت الجديد

وأنا منتظر .. جنب فراشك

جالسٌ أرقب في حتمى ارتعاشك —

صرخةَ الطفل الذى يفتح عينيه ..

على مرأى الجنود !

(يوليو ١٩٧٠)

فقرات من كتاب الموت

- ١ -

كل صباح ..

أفتح الصنبورَ في إرهاب

مغتسلًا في مائه الرقراق

يسقط الماء على يدي .. دَمًا !

... ..

عندما ..

أجلس للطعام .. مُرغما :

أبصر في دوائر الأطباق

جماجا ..

جماجا ..

مفغورة الأفواه والأحداق !!

- ٢ -

أحفظ رأسى في الخزائن الحديدية

وعندما أبدأ رحلتى النهارية

أحمل فى مكانها .. مدياعا !

(أنشر حولى البيانات الحماسية .. والصداعا)

وبعد أن أعود فى ختام جولتى المسائية

أحمل فى مكان رأسى الحقيقة :

.. قنينة الخمر الزجاجية !

- ٣ -

أعود مخموراً إلى بيتى ..

فى الليل الأخير

يوقفنى الشرطى فى الشارع .. للشبهة

يوقفنى .. برهة !

وبعد أن أرشوه .. أوصل المسير !

...
توقفنى المرأة ..

فى استنادها المثير

على عمود الضوء :

(كانت مصلقات « الفتح » و « الجبهة » ..

تملاً خلف ظهرها العمودا !)

١٩٨

تسألنى لفافة :

(لم يترك الشرطى ..

واحدة من تبغها الليلية

تسألنى إن كنت أمضى ليلتى .. وحيدا

وعندما أرفع وجهى نحوها ::

سعيدا

أبصر خلف ظهرها : شهيدا

معلقا على الحائط ، ناصع الجبهة

تغوص عيناه .. كنصليتي رصاصيين

أصرخ من رهافة الحدين

.. أمضى بلا وجهة !!

- ٤ -

فاجأتى الخريف فى نيسان

وطائر السمان ..

حط على شواطئ البحر الشمالية

طلبت من تحبه نفسى .. قبيل النوم

فم أجد .. إلا عذاب الصوم

طلبتُ من تحبهُ نفسي
(في الظلّ والشمس)
فلم أجد .. نفسي !!

... ..

وها أنا خلف النوافذ الزجاجيّة
أرقُب عند المغرب الشاحب :
طائري الغائب !

(١٩٦٩)

الحداد يليق بقطر الندى

جوقة :

قطرُ الندى .. يا خال
مَهْرُ بلا خيال

... ..

قطرُ الندى .. يا عين
أميرة الوجهين

.. ..

صوت :

كان (خمارويّة) راقداً على بحيرة الزئبق
وكانت المغنيات والبنات الحور
يطأن فوق المسك والكافور .
والفقراء وال دراويش أمام قصره المغلق
ينتظرون الذهب المبدور
ينتظرون حفنة صغيرة .. من نور .

جوقة :

قطر الندى .. يا عين

أميرة الوجهين

..

قطر الندى ..

قطر الندى ..

صوت:

هودجها يخترق الصخراء

تسبقه الأنباء .

أمامها الفُرسانُ ألف ألف

وخلفها الحصيانُ ألف ألف

تعبر في سيناء ..

جوقة :

قطر الندى .. يا ليل

تسقط تحت الخيل

..

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

..

(استمرار) :

تعبر في سيناء

تعبر في مضارب البدو ، وفي نضوب الماء

عند انتصاف الصيف .

تحلم بالوصول للأردن ..

ترخي أعتة الخيول حول مائه ..

تغسل وجه الحزن

جوقة :

قطر الندى .. يا مصر

قطر الندى في الأسر

قطر الندى ..

قطر الندى ..

الصوت والجوقة :

.. كان (خمارويه) راقداً على بحيرة الزئبق

في نومة القبلولة .

فمن تُرى ينقذ هذه الأميرة المغلوطة ؟

من يا تُرى ينقذها ؟

من يأتري ينقذها ؟

بالسيف ..

أو .. بالحيلة ؟!

صفحات من كتاب الصيف والشتاء

١ - حمامة

حين سَرَّتْ في الشارع الضوضاء
واندَفَعَتْ سيارةً مجنونة السائق
تطلق صوت بُوقها الزاعق
في كبد الأشياء :
تَفَزَّعَتْ حمامة بيضاء
(كانت على تمثال نهضة مصر ..
تَحُلُمُ في استرخاء)

... ..
طارث ، وحطت فوق قبة الجامعة النحاس
لاهثة ، تلتقط الأنفاس
وفجأة : دندنت الساعة
ودقت الأجراس
فحلقت في الأفق .. مُرتاعة !
... ..

(١٩٦٩)

أيتها الحمامة التي استقرت

فوق رأس الجسر
(وعندما أدار شرطى المرور يده ..

ظنته ناطوراً .. يصد الطير

فامتلاث رعباً !)

أيتها الحمامة النعسي :

دورى على قباب هذه المدينة الحزينة
وأنشدى للموت فيها .. والأسى .. والدعز

حتى نرى عند قلوب الفجر

جناحك الملقى ..

على قاعدة التمثال في المدينة

.. وتعرفين راحة السكينة !

٢ - ساق صناعية

في الفندق الذي نزلت فيه قبل عام

شاركني الغرفة

فأغلق الشرفة

وعلق (السترة) فوق المشجب المقام

وعندما رأى كتاب (الحرب والسلام)

بين يدي : اربد وجهه ..

ورف جفنه .. رفة

فغالب الرجفة

وقصر عن صبيّة طارحها الغرام

وكان عائداً من الحرب .. بلا وسام

فلم تطلق .. ضعفة

ولم يجذ — حين صحا — إلا بقايا الخمر والطعام !

.. .. .

ثم روى حكاية عن الدم الحرام

(.. الصحراء لم تطلق رشفة ..

فظل فيها ، يشتكى رسعه صيفة ..)

وظل يروى القصص الحزينة الختام

حتى تلاشى وجهه

في سحب الدخان والكلام

وعندما تحسّر الصوت به ، وطالت الوقفة

أدرك رأسي عنه ..

حتى لا أرى دمعته العفة

ومن خلايا جسدي : تقصّد الحزن ..

وبلّ المسام

.. ..

وحين ظنّ أنني أنام
رأيت يخلع ساقه الصناعية في الظلام
مُصعّداً تهيدةً ..
قد أحرقت جوفه

٣ - شتاء عاصف

كان (ترام الرّمْل) ..
مُتّبعاً ، كامراً في أخريات الحمل
وكنّ في الشارع
أرى شتاء (الغضب الساطع)
يكسح الأوراق والمعاطف
وكانت الأحجار في سكونها الناصع
مفسولة بالمطر الذي توقفا
وكان في المذياع
أغنية حزينة الإيقاع
عن (ظالم لاقيت منه ما كفى ..)
قد (علّمه كيف يجفو .. فجفا)

٢٠٨

جلست فوق الشاطئ اليابس
وكان موج البحر
يصفع خد الصخر
وينطوى — حيناً — أمام وجهه العابس .
.. وترجع الأمواج
تنطحه برأسها المُهتاج
ودون أن تكف عن صراعها اليأس .. !
ودون أن تكف عن صراعها اليأس .. !

مارس ١٩٦٩

٢٠٩

تعليق على ماحدث في مخيم الوحدات

- ١ -

قلتُ لكم مرارا

إن الطوايير التي تمر ..

في استعراض عيد الفطر والجللاء .

(فتهتف النساء في النوافذ انهارا)

لا تصنع انتصارا .

إن المدافع التي تصطف على الحدود ، في الصحارى

لا تطلق النيران .. إلا حين تستدير للوراء .

إن الرصاصات التي ندفع فيها .. ثمن الكسرة والدواء :

لا تقتل الأعداء

لكنها تقتلنا .. إذا رفعنا صوتنا جهارا

تقتلنا ، وتقتل الصغار !

- ٢ -

قلتُ لكم في السنة البعيدة

٢١٠

عن خطير الجندي

عن قلبه الأعشى ، وعن همته القعيدة

يحرس من يمنحه راتبه الشهري

وزيه الرسمي

ليهرب الخصوم بالجمعجة الجوفاء

والقعقة الشديدة

لكنه .. إن يحزن الموت ..

فداء الوطن المقهور والعقيدة :

فر من الميدان

وحاصر السلطان

واغتصب الكرسي

وأعلن « الثورة » في المذيع والجريدة !

- ٣ -

قلتُ لكم كثيرا

إن كان لابد من هذه الذرية اللعينة

فليسكنوا الخنادق الحصينة

(متخذين من مخافر الحدود .. دُورا)

أو دخل الواحد منهم هذه المدينة :

٢١١

يدخلها .. حسيراً

يلقى سلاحه .. على أبوابها الأمانة

لأنه .. لا يستقيم مَرَحُ الطفل ..

وحكمة الأب الرزينة

مع المُسَدِّس المدلَّى من حزام الخصر ..

في السُّوقِ ..

وفي مجالس الشورى

• • •

قلتُ لكم ..

لكنكم ..

لم تسمعوا هذا العبث

ففاضت النارُ على الخيَّمات

وفاضت .. الجثث !

وفاضت الخُوداثُ والمدرَّعاتُ

(سبتمبر ١٩٧٠)

ميتة عصرية

- ١ -

فتح المذباغ .. واستلقى !

وكان القدحُ الساخن ..

في وحدته المستفرقة .

(.. يدخل الطيفُ الذي يهبط .. بغتة

يسكتُ المذباغُ .. سكته ...)

- (موجز الانباء) ..

.. أَلقت يده السيجارةَ المحترقة

صرَّت النافذةُ المنغلقة

..

(.. يعبر الغرفة :

فوق الحائط الأزرق .. صورة

ظَلَّ يَجْلُو تحتها خنجره .. مبتسماً)

..

مَدَّ ساقيه ،

وكان الرعبُ في عينيه ..

صار الصوتُ والموتُ
عدواً واحداً
منقسماً !

• • •

ظل في مقعده ..
سار الترام

وهو في مقعده ..

كلَّت يدا بائعة الخبز الصغيرة
وهو في مقعده ..

كفَّ فحيحُ الصميت في المذياع ،
وانساب « السلام »

وهو في مقعده ..

— (موجزُ أنباء الصباخ)

وهو في مقعده ..

... ..

في يده سيجارة ملتصقة
وعلى الجانيط .. صورة !!

- ١ -

— من ذلك الهائم في البرية ؟
ينام تحت الشجرِ الملتف والقناطر الخيرية ؟
— مولاي : هذا النيل ..

نيلنا القديم !

— أين تُرى يعمل .. أو يقيم ؟
— مولاي :

كنا صبيّة نندسُ في ثيابه الصيفية
فكيف لا تُذكرُه ؟

وهو الذي يُذكرُ في المذياع والقصائد الشعرية ؟
— هل كان قائدا ؟

— مولاي : ليس قائداً .

لكننا السياحُ في مطالع الأعوام
يأتون كي يروه ..

— آه .. ويصوّرونه لكي يُشهرُوا بنا

بوجهه الباكي .. وكوفيته القطنية

.. تعال كي نودعه في ملجأ الأيتام .
— مولاي :

هكذا تحبُّه الصبايا .. والرعاة .. والأغنام

شهادة الميلاد .. والتطعيم .. والتأجيل
والموطن الأصلي .. والجنسية
.. حتى يمارس الحرية !

- ٣ -

.. ويلقى المعلم مقطوعة الدرس ،
في نصف ساعة :
(ستبقى السنابل ..
وتبقى البلائل ..
تغرّد في أرضنا .. في وداعة ..)
ويكتب كل الصغار بصدق وطاعة :
(ستبقى القنابل ..
وتبقى الرسائل ..
تُبْلِغها أهلنا .. في بريد الإذاعة)

(١٩٧٠)

وأثم كلنوم تغنى له ..
في وصلتها الشهريّة !
— النيل !

أين يا ثرى سمعت عنه قبل اليوم ؟
أليس ذلك الذى ..

كان يضاجع العذارى ؟
ويحب الدم ؟

— مولاي : قد تساقطت أسنانه في الفم
ولم يُعَدِّ يَقْوَى على الحب .. أو الفروسية

— لا بد أن يبرز لى أوراقه الشخصية
فهو صَمُوت !
يصادق الرعاع ..

يهبط القرى ..
ويدخل البيوت ..

ويعمل العشاق في الزوارق الليلية

— مولاي ؟ هذا النيل .. !!
— لا شأن لى بنبلك المُشَرَّد المجهول
أريد أن يبرز لى أوراقه الرسمية :

• • •

يهتز قرطها الطويل ..
يراقص ارتعاش ظله ..
على ثلثات العنق الجميل
وعندما تلفظ بذر الفاكهة
وتطفئ التبغ في المنفضة العتيقة الطراز
تقول عيناها : استرح !
والشفتان .. شوكتان !!

• • •

(تبقى أنت : شبحاً يفصل بين الأخوين
وعندما يفور كأس الجعة المملوء ..
في يد الكبير :

يقتلك المقتول مرتين !
أتأذنين لي بمعطفي
أخفي به ..
عورة هذا القبر الفارق في البحيرة
عورة هذا المتسول الأمير

الوقوف على قدم واحدة !

كادت تقول لي « مَنْ أنت ؟ »

.. .. .

(.. العقب الأسود كان يلدغ الشمس ..
وعيناها الشهيبتان تلمعان !)

— أأنت ؟!

لكنى رددت باب وجهي .. واستكنث
(.. عرفت أنها ..
تنسى حزام خصرها ..
في العربات الفارحة !

• • •

أسقط في أنياب اللحظات الدنسة
أتشاغل بالرشقة من كُوب الصمت المكسور
بمطاردة قرأش الوهم المخمور
أتلاشى في الحيط الواهن :
ما بين شروخ الخنجر .. والرقبة
ما بين القدم العارية وبين الصحراء الملتهبة

وهو يحاورُ الظلالَ من شجيرةٍ إلى شجيرةٍ
بطالِحِ الكُفِّ لعصفورٍ مُكسَّرٍ الساقينِ
يلقطُ حَبَّةَ العَيْنينِ

لأنه صدَّقَ — ذاتَ ليلةٍ مضتْ —
عطاءً فمكَّ الصغِيرَ ..
عطاءً حُلْمكُ القصيرِ ..

رَبَاب

- ١ -

جلستُ الأولى : وعيناكِ المليتانِ بالفضولِ ..
تفتُشانِ عن بدايةِ الحديثِ ،

وابتسامهَ حُجُولِ ..

في شفتيكِ العذبتينِ ، وارتباكنا يطولُ ..
في لحظاتِ الصمتِ والظنِّ .

فَرُتْ فوقَ مسندِ المقعدِ

قلْتُ ما يقالُ عن رداةِ الطقسِ ،

تسرَّرتُ عيناى في استدارةِ اليافَةِ

في معطفكِ الجميلِ .

وكان صوتُكِ المغنَّى يتحسَّسُ الطريقَ في شراييني ،

ويمسحُ الصداً

وكنْتُ أُلوى في رباطِ عُنُقِي ،

أُرَبُّتُ ظهرَ قلقي ،

أُمسحُ خِمْطَ القَرَقِ الضئيلِ .

هـر : شرعاً في زجاجِ البابِ ،

بون الزخرف المنقوش في مفارش الموائد ،
الوردة .. وهى تنحنى في الكوب ..
شفها الذبول .

..
ليلتها : عيناك هاتان المليتان بالفضول
طاردتانى لحظة بلحظة ..

في دوران السلم الطويل
وفي سريرى ظلنا تغنيان آخر الليل
وحين ضاق الصدر بالحنين .. وامتلا
رغرفنا حولى

فقلت .. قلت لهما كل الذى أردت أن أقول ..
(.. كنا جارين طويلا

وخليج عيون خضر ترسو فيه
أشرعه الشوق
قلبي ما كاد يشب عن الطوق
حتى أبخر في عينها الواسعتين ..
برحلته الأولى

.. لكنى أشهدا - الليلة - تنكىء عليه ..

كما كانت تنكىء علي !
بك في إصبعها خائمه الذهبي
تر على جبينه بأناملها الرخصة .

..
تهجرنى الأحزان ؟

أشهد فانتنى تستدق ..
في أحضان القرصان ؟)

- ٢ -

ح وجهك المضيء .. يا رباب
مستطيل النور عندما يشع ..

في انفراج باب
ومج اللقافة الأخيرة

شعة المنافض المزوقة

لسات اللوحة المعلقة

نورة الفَراش في السقف ،

وفي انغلاق الكتاب

دوبان الثلج في الأمكواب

في رثّة الملاءق الصغيرة
في صمته المذيع برهة قصيرة
في ثنيات الظل في الثياب
في غش النوافذ الصامت ..
بعد أن ينقشع الضباب .

. . .

(.. بالريح المقهورة
بالأمكنة المهجورة
بسنى الحب الغارب
بالقمر الشاحب
وبأعوامى الستة عشر
وبخصلة شقر :
أقسم ألا يسقط قلبى في ..
شرك الهدب الأسود .
ألا أفتح — يوماً هذا الباب الموصد !)
- ٣ -

كيف ضعفتُ في نهاية المطاف ؟

وارنحت في عينيك من عبثى ؟
وكل شيء حولنا يُملئ تلبينا أن نخاف ؟!
.. لكننى أنزع قلبى من نعومة البدء
ومن ليونة الدفء ..
وأحتنى — كالسلفاة — بالغلاف !!

فصل من قصة حب

لها حقيقة مدلاة ، وشعر عَجْرى !
(عرفتُ عنها القصص الكثيرة :
على أريكة القطار ..
ضاجعها اثنان ،
وخلف سائر الغارات في الميدان .. في الظهيرة .
.. وضاجعتها امرأة على البلاج الذهبى
وجسمها الخارج من محارة البحر ..
مُنْدَى بالألء الصغيرة !)

. . .

حين التقينا : لم تسل من أنت ..
أو من أين ؟!
وقبَلْتنى خلصة ونحن في المترو ..

مُحاصرَتْنِ .. واقفين !

وقبلتنى وأنا أُخرج مفتاحى ..

أمام غرفتى الفقيرة !

وقبلتنى .. حالما أَغْلَقْتُ البابَ وراءَ ظهرها ..

لامعةَ العينين !!

• • •

لا نهدها (اليمامة التى تهم بانطلاقها)

ولا انخسار الثوب فوق ساقها

هو الذى حاصرتنى فى الجسد — الجزيرة .

لكنه .. شئٌ بها .. كأنه اليتيم ..

كأنه الفراز ..

ينوب ما بين ذراعى : فتهدأ السريرة

وتلتوى الأنامل البيضاء حول كَتِفَيْ ..

كأنما نحن : الفريق .. والحطام الحشبي !

تمسك لى ..

فى لحظة احتراقها ..

فى لحظة التخلُّى عن عناقها !

تمسك لى ..

حتى مع استرخاءة النوم القصيرة

اذنا انفلتُ من يديها

وهى فى استغراقها !!

وصار بيتى بيتنا معاً ، وصار ..

أرجوحةً وثيرة .

وصارت الألفة ثوباً واحداً

نلبسه تحت جلودنا

فلا يبلى ..

ولا يلحقه الغبار !

عاريةً — إلا من الحب — تروح ونجىء

يأتى غناؤها بصوتها الدافئ

وهى ترش الماء فى الحمام ،

أو .. جالسةً على الأريكة الأثيرة

وهى تُسَوِّى شعرها ،

أو .. وهى عند النار

تُعَدُّ فيها قهوة الإفطار

أو .. تمنح الرونق للأشياء

فى لمستها الخبيزة

تكوى المناديل الحريئة .. والشتورة

أو تمسح الغبار حول صورة !

الهجرة الى الداخل

أترك كل شيء في مكانه :
 الكتاب ، والقنبلة الموقوتة
 وقدر القهوة ساخناً ،
 وصيدلية المنزل ،
 واسطوانة الغناء .
 والباب مفعور الغيم ،
 .. الباب .. وعين القطعة الياقوتة .
 أترك كل شيء في مكانه ،
 وأعبر الشوارع الضوضاء
 مخلفاً خلفي : زحام السوق ..
 والنافورة الحمراء ..
 والهيكل الصخرية المنحوتة
 أخرج للصحراء !
 أصبح كلباً دامي الخالب
 أنبش حتى أجذ الجنة ،

وها أنا بعد رحيلها المفاجيء
 أعمى بلا بصيرة .
 فتشت عنها كل حانات المدينة الكبيرة
 وغرف الطلاب ..
 والمستشفيات ..
 والملاجيء ..
 لكنني لم أر غير الوحشة المريرة
 وذكرياتها المنثورة
 في البيت ، في مكانها ..
 تنتظر اليد الأميرة
 تنتظر الخيط .. الذي ينظم اللآلئ .

• • •

— كأسك !
 — حان موعد الاغلاق .
 — لم تبق الا قطرة أخيرة .
 — كأسك !
 .. لن تعيدها الأشواق !!

حتى أقضم الموت الذى يدنس التراب !
أدسُ فى الحفرة وجهى الشرة المحموم
تصبح بوقاً مصمتاً حول فمى المنكفىء المزموم
وصارخاً فى رحم الأرض ..
أصبحُ : يا بساطَ البلد المهزوم ..
لا تنسحب من تحت أقدامى ..
فسقط الأشياء ..

من رفها الساكن فى خزانة التاريخ ،
تسقط المسميات والأسماء !
أصرخ .. ليس يهمل الصوت
أصرخ .. لا يجيب إلا عرق التربة والسكون والموت
ويستدير حول رأسى الظنين ،
ويلوم الهواء
أسقط واقفاً ..

وخائفاً .
أن يحمل الصدى ندائى للهوائيات ..
فوق أسطح البيوت
أن تفضى الرمال صوتى المضىء ،

صوتى المكبوت !
أبكى إلى أن يستدير الدمع فى الحفرة
أبكى .. إلى أن تهدأ الثورة
أبكى إلى أن ترسخ الحروف فى ذاكرة التراب
أعود ضالاً ..

أتبع الأسلاك ، والدم الركام ،
والدم المنساب
أبحث عن مدينتى التى هجرتها ..
فلا أراها !

أبحث عن مدينتى :
يا إرم العماذ
يا إرم العماذ
يا بلد الأوغاد والأبجاد
رُدْنى إلى : صفحة الكتاب
وقدح القهوة .. واضطجعتى الحميمة
فيرجع الصدى ..
كأنه اسطوانة قديمة :

يا إرم العماذ
يا إرم العماذ

كنت لا أحمل إلا قلماً بين ضلوعى .
 كنت لا أحمل إلا .. قلمي .
 فى يدى : خمسُ مرايا
 تعكس الضوء (الذى يسرى إليها من دمي)
 .. طارِقاً بابَ المدينة :
 — « افتحوا الباب »

فما ردَّ الحرسُ
 — « افتحوا الباب .. أنا أطلب ظلاً .. »
 قبل : « كلاً »

..

أمطرى ما قبضة الزيد التى تُدعى سُحْبُ
 أمطرى رغوتك الجوفاء فى كوب الذهب
 هذه الأسوار ما رقت لدقائق الحزينة
 وشعاعُ القبة الفضية المساء يغل ..
 فى مراياى الثمينة

رُدِّى إليه : صهوة الجواد
 وكُتِبَ السحر ..

وبعضَ الخبزِ فى زوادة السفر
 فقلبه الذى انشطّر
 يرقد فوق زهرة اللوتس فى المنفى ،
 يطالع المكتوب
 منتظراً حتى يفور الكوب
 فى يده ،

يدير فوق جسمه رداءه المقلوب
 لكي يعود فى مواسم الحصاد
 أغنية .. أو وَرْدَةٌ
 للباحثين عن طريق العودة !

آه لو أملك سيفاً للصراع

آه لو أملك خمسين ذراع :

لتسلمت — بإيماني الهرقلى — مفاتيح المدينة

آه .. لكنى بلا حتى .. مؤونة !

• • •

أيها العشب الذى ينضج حُمى

إننى أنشدُ فى جنبك .. حلما

(.. واستكانت شفة الوهج على وجهى طويلا ..)

ربما يُفتح هذا الباب يوما

أيها العشب الذى ينضج حُمى

شمسنا مطفأة العينين .. دوما !

يا طريق التلّ (حيث القبة الملساء تبدو ..

صنماً ضخماً تحدى المستحيلا)

يا طريق التلّ :

ما زالت على جنبك آلاف النفائث ..

لسكان القباب المصمتة

من قمامات البقايا الميتة

وزجاجات مخمور فارغة

وكلايب والفة

ورماذ ، وورق !

آه .. يا ذكرى الحنين المحترق

آه ، كم كنّا — كما كنت — نرشُ النورَ والشوق النبيل

وتهدجنا غناء ..

وتهدجنا بكاء ..

وتهدجنا .. فضولا

ثم .. لم نلقَ من الحبّ عدا : باباً بخيلا !!

- ٢ -

قرقعتُ فى الصمت حولى عجلاثُ المركبة

- « أوقِفِ الخيل »

أطلت :

- « من ترى أنت ؟ »

فأومأتُ بحبها

قالت : « اصعدُ »

— « آو ياذات العيون الطيبة
كل شيء ينتهذ

كل شيء في دمي .. لا يتحدّد
أنا لا أملك حتى كلمات الشكر ..
حتى كلمات الشكر .. ولت !
— « أغريب ؟ »

قلت : ما عدت غريبا
بيتنا كان على ربوة نجمة

كم قرأنا فيه عن سحر لياليك كثيرا
عن جبين يهب العمر تناهيد ورحمة
ورسختنا وجهك المعبود فوق المنزل
وعلى صدر الربيع المقبل

وتعشقناك : حزنا أرجوانيا أمرا
وتعشقناك : شعرا كستنائيا غريبا
وتعشقناك : ثوبا جلدته الحور ..

من زهو المطر

وعشقنا فيك : حتى تحفلك المجلوب من وادي القمر !
قالت : « اهدأ ..

سوف تحكي لي هناك .. »

وأشارت نحو قصر القبة المساء ،
ثم استطرذت :

إنه مُلك أُنّى !

عندما كان (سليمان) وليا
لم يكن يملك هذا القصر ذا المليون باب
قل مكتوب على جدرانه الماسية الزرقاء ..
أحلام شباب

قل في الساحة نافورة خلد
وعلى الباب نقوش أثرية .

آه .. يا حراسه .. هذا أنا !!
إرفعوا الأيدي وأدوا لي التحية
ارفعوا المزلاج .. فالركب يسير
« يد مولاي » ..

ومدت يها (بدرُ البدوزر)

نصعد السلم : يا معراج ما كنت نبيّا !
أنا في البللور حولي في السنا : أَلْف أنا
فامض يا معراجنا نحو الجنّاح
واعزفي يا جوقة الميلاد لحن الإفتاح !

• • •

سكرت كاساتنا من خمر بابل

ألف خيط في دمانا .. يستبد

— « آه يا سيدتي : أنتِ مَلَكٌ ..

أنا لأحمل إلا قلماً بين ضلوعى ..

فخذيه .. إنه أتمن ما عندى .. خذيه »

ومشت راحتها فوق جبينى ،

هتف لى : « شهریار »

— « شهرزادى : أسكى شَهْدَ الرحيق المتواصل

ثم قصى من حكاياك الجديدة

من زمان لم أَعُدْ أسمع أشياء جديدة

أمرى »

— « لبيك يا مولائى .. قالوا

..

ثم لم تملك قُوانا

على الجدران لوحات فريدة

لرغيف .. وزجاجات من الخمر .. وراع ..

قطيع !

(آه .. ما أقسى الجدار

عندما ينهص فى وجه الشروق !

ربما تُنفق كل العمر كى تنقب ثغرة

ليمرّ النور للأجيال .. مرة !

..

ربما لو لم يكن هذا الجدار :

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق !!)

- ٣ -

شَفَّةٌ ثُلجِيَّةٌ فى جبهتى تسرى .. مُلحَةٌ

« قد أتى الصبح .. فقم »

شدنى السيف من أشهى حلُم

حاملأ أمر الأميرة

— « أنا يا مسرورُ معشوقُ الأميرة

ليلة واحدة تُقضى .. بدم ؟!

يا ترى من كان فينا شهریار ؟!

أنا يا مسرورُ .. »

(مسرورُ على الباب : رخام)

— « أنا يامسرورُ لم أسعد من الدنيا بفرحة

أنا لم أبلغ سوى عشرين عام

خذ ثيابى .. خذ مراياى المنيرة ..
— « حسناً ، فاهرب من الباب الذى فى آخر الممشى
ولا ترجع هنا »

يا طريق التلّ حيث القبة الملساء .. خلفى
حيث مازالت على جنبيك آلاف النفايات ..
لسكان المدينة :

الكلابُ الوالغة ..
وزجاجاتُ الخمر الفارغة ..
وأنا .. أحمل أقدامى الحزينة !!

الضحك فى دقيقة الحداد !

.. ووقفنا فى العراء
ببقايا أغميدة .
انتظرنا ان يمر الشعراء
ربما يمنحنا دفء الغناء
ربما .. ليلة حب واحدة .
وتنصّتنا لوقع الخطو ، غربلنا الهواء
لم يكن إلا .. سكون الصحراء
وطنين الأفعدة !

. . .

عالمٌ تحت الصفر .. صفّر اليَد جاء
حين كنا فى ضمير الليل روحاً مجعدة .
طرق الباب ، ونادى فى حياء

'فاستدرنا في فراش النوم ،
أَحَكَمْنَا الْغَطَاءُ
وتركناه هَبَّاتِ الرِّيحِ الْبَارِدَةِ .

• • •

كُنْتُ فِي الْمَقْهَى ، وَكَانَ الْبَيْغَاءُ
يَقْرَأُ الْأَنْبَاءَ فِي فَرَّانٍ حَقْلِ الْقَمْجِ ،
فَوْقَ الْقَرْدَةِ
وَهِيَ تَجْتَرُّ النَّرَاجِيلَ ، وَتَرْنُو لِلنِّسَاءِ .

.. ..
(— رَفَعُ اثْمَانٍ جَمِيعِ الْأَسْمَدَةِ)

.. ..
.. النَّسَاءُ الْقَطُطُ — الْأَفْرَاسُ — سِمَانُ الْعِشَاءِ
وَعَيُونُ الرِّغْبَةِ الْفَرَّانُ تَبْتَلُ بِأَصْدَاءِ الْمَوَاءِ .

.. ..
(— رَفَعُ سَعْرِ الصُّوفِ ..)

.. .. مَا مِنْ فَائِدَةٍ !

كَادَتْ السَّيَارَةُ الْحُمْرَاءُ أَنْ تَقْصِمَ ظَهْرَ السَّيِّدَةِ
وَالنِّسَاءُ — الْقَطُطُ — الْأَزْيَاءُ يَخْلَعْنَ الرِّدَاءَ

.. ..

(— نَائِرُ يَفْتُلُ فِي طَهْرَانٍ بِالْأَمْسِ — رُئِيسَ الْوُزَرَاءِ)

.. ..

رَقْعَةُ الشُّطْرَنِجِ : مَاتَ الشَّاهُ ، دَوْرُ الْإِبْتِدَاءِ ..
هَزَمَ الْأَبْيَضُ فِيهِ اسْوَدَّهُ
حِينَ كُنَّا فِي ضَمِيرِ اللَّيْلِ رُوحًا مَجْهَدَةً .

.. ..

تَلْعَقُ الْفَرَّانُ فِي الْجُحْرِ تَرَابَ الْإِشْتِهَاءِ
وَهِيَ تَجْتَرُّ النَّرَاجِيلَ ، وَتَرْنُو لِلنِّسَاءِ
النِّسَاءُ — الْقَطُطُ الْكَسَلَى ،

.. ..

.. .. (اسْتَبَاكَ عَسْكَرِيٌّ فِي الْمَسَاءِ)

بِرَهَةٍ : تَرْتَفِعُ الْأَعْيُنُ عَنْ طَاوِلَةِ الزَّهْرِ وَمَوْسِيقَى النِّسَاءِ
تَبْرِقُ النَّظَرَةُ مِنْ تَحْتِ الْجَفَوْنَ الْخَامِدَةِ

.. ..

(مَجْلِسُ الْأَمْنِ يُوَالِي ..)

.. .. وَيَعُودُ الْإِنْخَاءُ

تجلس العينُ على نقش البلاطِ القرفصاءُ
ثم تنسأه ، وتطويها فنونُ العريضة !!
قال لى :

« ها هو بهو الأعمدة »

.. ..

من هنا مرّت خيولُ الخيلاءِ
من هنا مرّت .. فلم يُدفن لها قتلى ،
ولم تُحقن دماء .

حطّت الحدأة فوق المائدة
رفع النسْرُ عن الشمس . يَدَه
فهوْث ، والأرضُ غطاها الرباء .

.. ..

نقشةُ الجدرانِ فى قلبى ،

وفى عيني الرمالُ الراقدة

الرمالُ الرابضاتُ — اليومَ — من حول البناءِ
الرمالُ — الندمُ الحارقُ لى خبِرَ وماء .
يا بقايا المومياء :

نحنُ أسبلنا العيونَ الرميّة

حين أنكرناكِ قبل الفجرِ ..

(والفجرُ إلى اللحظة لم يأتِ ،)

وجاء ..

بدلاً منه : الرباء ،

كلما استشرقتِ النظرةُ أفقَ النور : شمت جسده
فراخت .. مُقعّدة ،

وانتظرنا الصيْفُ فى فصل الشتاء

واغتسلنا ننشُدُ البرءَ نهارَ الأربعاء

ودعونا الله أن يكشف عنا العُمة المتعقّدة :

أعطنا ليلة حب واحدة

أعطنا ليلة طهر واحدة

أعطنا ليلة صدق واحدة

وتسمننا صدى الدعوة ، غربلنا الهواء

لم يكن إلا .. الرباء

جرباً تحت الجلود :

الظفرُ لا يجدى ..

ولا يجدى الدواء !

جربَ أوغَل . حتى الأنفذة !!

° ° °

لا تلوميني .. إذا الطوفانُ جاء
.. .. .

(١٩٦٩)

ووقفنا في العراء
ببقايا أعمدة ..
وتلفَّتْنا ، فأبصرنا عظامَ الشهداء
تتلوّى في رمالِ الصحراء
تقصّد النبلَ .. لكى يمنحها جرعة ماء
فسقاها .. كَمَدَه !
ورأينا في مرايا مائه أوجهنا ..
كنا عراة تعساء
خلفنا يصطكُ بابُ المصيصة .
.. والشفاهُ المرغياتُ المزبدة .
تتبارى في الهتافاتِ ،
تدقُّ المنضدة
ثم تنسلُّ اذا انفضَّ البكاء
تتلهى بالصدور الناهدة
في حوانيت الشواء ،
.. .. .
.. .. .
يا عصفير الشتاء :

(بيان)

أيها السادة : لم يبقَ اختيار
سقط المهر من الإعياء ،
وانخلت سيور القرية
ضاقَت الدائرة السوداء حول الرقبة
صدرنا يلمسه السيف ،
وفي الظهر : الجدار !

..

أيها السادة : لم يبقَ انتظار
قد منعنا جزية الصمت لملوك وعبد
وقطعنا شعرة الوالى « ابن هند »
ليس ما نخسره الآن ..

سوى الرحلة من مقهى إلى مقهى ..
ومن عاب .. لعاز !!

- ١ -

على محطات القرى ..
ترسو قطارات السهاد
فتتطوى أجنحة الغبار فى استرخاءة الدنو
والنسوة المتشحات بالسواد
تحت المصابيح ، على أرصفة الرسو
ذابت عيونهن فى التحديق والرئو
عل وجوه الغائين منذ أعوام الخداذ
تشرق من دائرة الأحزان والسلو
..
ينظرين .. حتى تتآكل العيون
تتآكل الليالى ،
تتآكل القطارات من الرواج والغدو
والغائبون فى تراب الوطن — العدو
لا يرجعون للبلاد ..
لا يخلعون معطف الوحشة عن مناكب الأعياد !

سرحانُ يا سرحانُ
والصمتُ قد هدك
حتي متى وحدك
يخفرك السجان ؟

.. ..
نقتل ، أو نُقتل
هذا الخيار الصعب
وشلنا بالرعب ..
تردد العزل

.. ..
في البيت ، في الميدان
نقتل يا سرحان !

أنجرة الشاي تدور في الفناجين ، ونشرتب
يلتم شمل العائلة
.. إلا الذي في الصحراء القاحلة

نافورة حمراء .
طفل يبيع الفل بين العربات .
مقتولة تنتظر السيارة البيضاء .
كلب يحك أنفه على عمود النور .
مقهى ، ومذايغ ، وتردد صاخب ، وطاولات .
ألوية ملوئة الأعناق فوق الساريات .
أندية ليلية .
كتابة ضوئية .
الصحف الدائمة العنوان .. ييض الصفحات .
حوائط ، وملصقات ..
تدعو لرؤية (الأب الجالس فوق الشجرة)
والثورة المنتصرة !
إيقاعات :

يرقدُ في أمعاء طائرٍ وذئبٍ

(يهبطُ من صورته المقابلة

يلتفُّ حول رأسه الدامي شريطُ الحزنِ

يجلسُ قربَ الركنِ

يصفى إلى ثرثرة الأفواه والملاعقِ المُبتذلةِ

ينشقُّ في وقفته .. نصفينِ

يصبُّ في منتصفِ الفنجانِ .. قطرتينِ
من دمه ،

ينكسرُ الفنجانُ .. شظيتينِ)

ينكسرُ النسيانُ

وهو يعود باكياً إلى إطارِ الصورة المُجلّلة
بآية القرآن !

..
الدمُ في الوسائدِ

بلونه الداكنُ

واللبنُ الساخنُ

تبيعه الجرائدُ

..

اللبنُ الفاسدُ

اللبنُ الفاسدُ

اللبنُ الفاسدُ

يُخفى الدَمُ — الشاهدُ

- ٤ -

أموتُ في الفراشِ .. مثلما تموتُ العيرُ ،

أموتُ ، والنفيرُ ..

يدقُّ في دمشق ..

أموتُ في الشارعِ : في العطورِ والأزياءِ

أموتُ ، والأعداءُ ..

تدوسُ وجهَ الحقِّ .

إيقاعات :

الدمُ قبلَ النومِ

نلبسه .. رداءاً

والدمُ صارَ ماءً

يُراقُ كلَّ يومٍ

« وما يجسى موضع إلا وفيه طعنة برمخ »
.. إلا وفيه جرح ،
إذن .

« فلا نامت عيونُ الجُبناء »

١٩٧٠

لا وقت للبكاء

لا وقت للبكاء .

فالْعَلَمُ الذى تنكسِيته .. على سِرادقِ العزاء
مُنكَّسٌ فى الشاطئ الآخر ،
والأبناء ..

يُسْتَشْهَدُونَ كى يقيموه .. على « ثبة » ،
الْعَلَمُ المنسوجُ من حلاوة النصر ومن مرارة النكبة
خيطةً من الحب .. وخيطين من الدماء
الْعَلَمُ المنسوج من خيام اللاجئيين للعراء
ومن مناديل وداع الأمهات للجنود :
فى الشاطئ الآخر ..

مُلَقًى فى الثرى ..

ينهشُ فيه الدودُ ،

ينهشُ فيه الدودُ .. واليهودُ

فانخلعى من قلبك المفقود

مقاتلين .. فمقاتلين .. في الحَلَبَةِ .

• • •

الشمسُ (هذه نلتى تأتى من الشرق بلا استحياء)

كيف تُرى تُمرُّ فوق الضفة الأخرى ..

ولا تنجى مُطْفَأَه ؟

والنسمَةُ التى تُمرُّ فى هُبُوبِها على حَيْثَمِ الأعداء

كيف تُرى تُشْمُها .. فلا تسدُّ الأنف ؟

أو تحترقُ الرئة ؟

وهذه الخرائطُ التى صارتُ بها سيئات

عِبرِيَّةُ الأسماء

كيف نراها .. دون أن يصيبنا العمى ؟

والعارُ .. من أُمُتنا السُجْرَاءُ ؟

.. والطفلةُ الصغيرةُ العذبة

تُطلَقُ — فوقَ البيتِ — « طيارَئِها » البيضاء

كيف تُرى تُكُتِبُ فى كُرَّاسَةِ الإنشاء

عن بيتِها المهْدومِ فوقَ الأبِ .. واللعبة ؟

وأُمِّى التى تَظَلُّ فى فناءِ البيتِ مُنْكَبَةً

فها على أبوابكِ السبعة ، يا طَيِّبَةُ ..

باطِيَّةُ الأسماء :

يُقَعَى أبو الهول ،

وَتُقَعَى أُمَّهُ الأعداء

مجنونة الأنبياء والرغبة ..

تشربُ من دمائِ ابنائكِ قربةً .. قربةً

تفرشُ أظفاركِ فى الأرضِ بساطاً ..

للمدْرَعَاتِ والأحذية الصلبة

وأنتِ تبكين على الأبناء ،

تبكين ؟

يا ساقيةَ دائرةٍ ينكسر الحنين ..

فى قلبها ، وثيلكِ الجارى على خَدِّ النجوع

يجرى دموع

ضفافه : الأحزان والغربة ،

تبكين ؟ مَنْ تبكين ؟

وأنتِ طولَ العمر — تشقين ، وتخصدين ..

مرارة الخيبة

وأنتِ — طولَ العمر — تبقين ، وتنجين ..

مقروحة العينين ، مسترسلة الرثاء
تنكث بالعود على التربة :

رأيتها : الخنساء

ترثى شبابها المستشهدين في الصحراء .

رأيتها : اسماء

تبكى ابنها المقتول في الكعبة ،

رأيتها : شجرة الدر ..

ترد خلفها الباب على حثان (نجم الدين)

تعلق صدرها على الطعنة والسكن

فالجنود في الدلتا

ليس لهم أن ينظروا إلى الورا

أو يدفنوا الموتى

إلا صيحة الغد المنتصر الميمون

.. .. .

(.. والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت يومها : سفائن الإفرنج

تغوص تحت الموج .

وملك الإفرنج

يغوص تحت السرج .

وراية الإفرنج

تغوص ، والأقدام تقري وجهها المعوج ،

.. وها أنا — الآن — أرى في غدك المكنون :

صيفاً كثيف الوهنج

ومدناً ترتج

وسفناً لم تنج

ونجمة تسقط — فوق حائط المبكى — إلى الـ

وراية (العقاب)

ساطعة في الأوج ..)

• • •

والتين والزيتون

وطور سينين ، وهذا البلد المحزون

لقد رأيت ليلة الثامن والعشرين ..

من سبتمبر الحزين :

رأيت في هتاف شعبي اجرّيح
 (رأيت خلف الصورة)
 وجهك .. يا منصوره ،
 وجه لويس التاسع المأسور في يدى صييح

 رأيت في صبيحة الأول من تشرين
 جندك .. يا حطين
 ييكون ،
 لا يدرون ..
 أن كل واحد من الماشين
 فيه .. صلاح الدين !

(٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)

العهد الآتي

وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد متآ عارة
الخير والشر .

المهد القديم

تك ٣ : ٢٢

مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم
لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود .

المهد الجديد

يو ١٨ : ٣٦

أبانا الذى فى المَبَاحِثِ . نحن رعاياكَ . باقٍ
لكَ الجبروتُ . وباقٍ لنا الملكوتُ . وباقٍ لمن
تَخَرَّسُ الرُّهْبُوتُ .

* * *

تفرَّدتَ وحدكَ باليسرِ . إنَّ البَينَ لَفى الخُسْرِ .
أَمَّا اليسارُ ففى العُسْرِ . إلَّا . الذينَ يُمَاشُونَ .
إِلَّا الذينَ يَمِيشُونَ يَمُخِشُونَ بالصَّحِيفِ المَشْتَرَاةِ
العيونَ .. فَيَمُخِشُونَ . إلَّا الذينَ يَمُشُونَ . وإِلَّا
الذينَ يُوشُونَ يَاقَاتِ قَمِصَانِهِم بِرِبَاطِ السَّكُوتِ !
تعالَيْتَ . ماذا يَهْمُكَ مِن يَدْمُكَ ؟ اليومَ يَوْمَكَ
يَرِقُ السَّجِينُ إِلَى سُدَّةِ العَرْشِ ..
والعَرْشُ يَصْبَحُ سَجَنًا جَدِيدًا وَأَنْتَ مَكَانَكَ . قد

يَتَبَدَّلُ رَسْمُكَ وَاسْمُكَ . لَكِنْ جَوْهَرُكَ الْفَرْدُ
لَا يَتَحَوَّلُ . الصَّمْتُ وَشَمُّكَ . وَالصَّمْتُ وَثَمْتُ
وَالصَّمْتُ — حَيْثُ التَّقْتُ — يَرِينُ وَيَسْمُكُ
بَيْنَ خِيوطِ يَدَيْكَ الْمَشْبُكَتَيْنِ الْمَصْمُغَتَيْنِ يَلْفُ
الْفَرَاشَةَ .. وَالْعَنْكَبُوثَ .

• • •

أَبَانَا الَّذِي فِي الْمِبَاحِثِ . كَيْفَ تَمُوتُ .
وَأَغْنِيَةُ الثَّوْرَةِ الْأَبَدِيَّةِ
لَيْسَتْ تَمُوتُ ؟!

سفر التكوين

(الاصحاح الأول)

فِي الْبَدْءِ كُنْتُ رَجُلًا .. وَامْرَأَةً .. وَشَجَرَةً .
كُنْتُ أَبًا .. وَابْنًا .. وَرُوحًا قُدْسًا .
كُنْتُ الصَّبَاحَ .. وَالْمَسَاءَ ..
وَالْحَدِيقَةَ الثَّابِتَةَ الْمُدَوَّرَةَ .
وَكَانَ عَرْشِي حَجَرًا عَلَى صَفَافِ النَّهْرِ
وَكَانَتِ الشَّيَاطِينُ ..
تَرَعِي ؛ وَكَانَ النَّحْلُ حَوْلَ الزَّهْرِ ..
يَطْفُو ؛ وَالْإِوْرُ يُطْفِئُ فِي بَحِيرَةِ السَّكُونِ ،
وَالْحَيَاةُ ..
تَنْبُضُ — كَالطَّاحُونَةِ الْبَعِيدَةِ !
حِينَ رَأَيْتُ أَنَّ كُلَّ مَا أَرَاهُ
لَا يَنْقُذُ الْقَلْبَ مِنَ الْمَلَلِ !

(مبارزات الديكة)

كانت هي التسلية الوحيدة

في جلستي الوحيدة

بين غصون الشجر المشتبكة !)

(الاصحاح الثاني)

قلت لنفسي : لو نزلت الماء .. واغتسلت .. لانقسمت

(لو انقسمت .. لازدوجت .. وابتسمت)

وبعدما استحمت ..

تناسخ الزهر وشاحاً من حرارة الشفاة

لَقَفْتُ فيه جسدى المصطك .

(وكان عرشي طافياً .. كالفلك)

ورف عصفور على رأسي ؛ وحط ينفض البُلل

حدقت في قرارة المياه

حدقت ؛ كان ماأراه

وجسى .. مكللاً بتاج الشوك !

(الاصحاح الثالث)

قلت : فليكن الحب في الأرض ؛ لكنه لم يكن !

قلت : فليذب النهر في البحر ، والبحر في السحب ،

والسحب في الجذب ، والجذب في الخصب ، ينبت

خبزاً ليسند قلب الجياح ، وعشباً لماشية

الأرض ، ظلاً لمن يتقرب في صحراء الشجن .

ورأيت ابن آدم — ينصب أسواره حول مزرعة

الله ، يتتاع من حوله حرساً ، ويبيع لإخوته

الخبز والماء ، يحتلب البقرات العجاف لتعطى اللبن .

قلت فليكن الحب في الأرض ، لكنه لم يكن .

أصبح الحب ملكاً لمن يملكون الثمن .

... ..

ورأى الرب ذلك غير حسن !

• • •

قلت : فليكن العدل في الأرض ؛ عَيْنَ بَعَيْنٍ وَسِرِّ سِرٍّ .

قلت : هل يأكل الذئب ذنباً ، أو الشاة شاة ؟

ولا تضع السيف في عنق اثنين : طفل .. وشيخ مُ

ورأيت ابن آدم يردى ابن آدم ، يشعل في
المدن النار ، يغرس خنجره في بطون الحوامل ،
يلقى أصابع أطفاله غلفاً للخيول ، يقص الشفاة
وروداً تزيّن مائدة النصر .. وهى تئن .
أصبح العدل موتاً ، وميزانه البندقية ، أبنائه
صلبوا في الميادين ، أو شنعوا في زوايا المدن .
قلت : فليكن العدل في الأرض ، لكنه لم يكن .
أصبح العدل ملكاً لمن جلسوا فوق عرش الجماجم
بالطيلسان —

الكفن .

....
ورأى الرب ذلك غير حسن !

. . .

قلت : فليكن العقل في الأرض ، تُصفى إلى صوته المترن .
قلت : هل يبتلى الطير أعشاشه في فم الأفعوان ،
هل الدود ينكن في لب النار ، والبوم هل
يضع الكحل في هدب عينه ، هل يبذر الملح

من يرتجى القمح حين يدور الزمن .

ورأيت ابن آدم وهو يجن ، فيقتلع الشجر المتطاوّل ،
يصبق في البئر ، يلقي على صفحة النهر بالزيت ،
يسكن في البيت ؛ ثم يحثي في أسفل الباب
قنبلة الموت ، يؤوي العقارب في دفة أضلاعوه ،
ويورث ابنائه دينه .. واسمه .. وقميص الفتن .
أصبح العقل مغترباً يتسوّل ، يقذفه صبيّة
بالحجارة ، يوقفه الجنّد عند الحدود ، وتسحب
منه الحكومات جنسيّة الوطنى .. وتُدْرِجُه في
قوائم من يكرهون الوطن .

قلت : فليكن العقل في الأرض ، لكنه لم يكن .
سقط العقل في دورة النفى والسحن .. حتى يجن

....

ورأى الرب ذلك غير حسن !

(الاصحاح الرابع)

قلت : فلتكن الريح في الأرض ؛ تكس هذا القفر
قلت : فلتكن الريح والدم ... تقتلع الريح هسنت

الورق الذابل المُتَشَبِّث ، يندلع الدم حتى
الجنود فيزهزها ويظهرها ، ثم يصعد في
السوق .. والورق المُتَشَابِل . والتمر المُتَذَلَّى ؛
فيمصره العاصرون نبذاً يزغرد في كل دن .
قلت : فليكن الدم نهراً من الشهد ينساب تحت فراديس عند
هذه الأرض حسناء ، زينتها الفقراء ، لهم تَطْطِيب ،
يعطونها الحب ، تعطيهم النسل والكبرياء .
قلت : لا يسكن الأغنياء بها . الأغنياء الذين
يَصُوغُونَ من عرق الأجراء نُقُودَ زنا .. ولآلئ
تاج . وأقراط عاج .. ومسبحة للرياء .
إننى أول الفقراء الذين يعيشون مُعْتَرِينَ ،
يموتون مُحْتَسِبِينَ لدى العزاء .
قلت : فلنكن الأرض لى ... ولهم !
(وأنا بينهم)
حين أخلع عنى ثياب السماء .
فأنا أُنْقَدَسُ — فى صرخة الجوع — فوق الفراش الحثيث !

(الاصحاح الخامس)

حَدَقْتُ فى الصخر ؛ وفى الثُبُوغِ
رَأَيْتُ وجهى فى سيمات الجُوع !
حَدَقْتُ فى جَبِينِ المَقْلُوبِ
رَأَيْتُنِ : الصليب والمصلوب
صرخت — كنتُ خارجاً من رَجمِ الهناءة
صرخت ؛ أطلبُ البراءة
كَيْتُونِى : مشنقى
وحَبْلَى السُرَى :
حَبْلُهَا
المقطوع !

(الاصحاح الثالث)

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

رَفَعَتْ أُمُّهُ الطَّيِّبَةَ

عَيْنَهَا ..

(دَفَعَتْهُ كُحُوبُ الْبِنَادِقِ فِي الْمَرْكَبَةِ !)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

نَهَضَتْ ؛ نَسَقَتْ مَكْتَبَهُ ..

(صَفَعَتْهُ يَدٌ ..

— أَدْخَلَتْهُ يَدُ اللَّهِ فِي التَّجَرِبَةِ —)

... ..

دَقَّتْ السَّاعَةُ الْمُتَعَبَةَ

جَلَسَتْ أُمُّهُ ؛ رَتَّقَتْ جَوْرَبَتَهُ ..

(وَخَزَنَتْهُ عَيْنُ الْمُحَقِّقِ ..

سفر الخروج

(أغنية الكعكة الحجرية)

(الاصحاح الأول)

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ عَلَى حَافَةِ الْمَذْبَحَةِ

أَشْهَرُوا الْأَسْلِحَةَ !

سَقَطَ الْمَوْتُ ؛ وَانْفَرَطَ الْقَلْبُ كَالْمَسْبُوحَةِ

وَالدَّمُ انْسَابَ فَوْقَ الْوَشَاحِ !

الْمَنَازِلُ أَضْرَحَتْ ،

وَالزَّنَازِنُ أَضْرَحَتْ ،

وَالْمَدَى .. أَضْرَحَتْ

فَارْفَعُوا الْأَسْلِحَةَ

وَاتَّبِعُونِي !

أَنَا نَدَمُ الْغَدِ وَالْبَارِحَةِ

رَأَيْتِي : عَظَمَتَانِ .. وَجُمُجُمَةٌ ،

حتى تَفَجَّرَ من جلده الدَّمُ والأجوبة !)

... ..

دقت الساعة المتعبة !

دقت الساعة المتعبة !

(الاصحاح الثالث)

عندما تهبطين على ساحة القوم ؛ لا تَبْدُنِي بالسلام
فهمُ الآنُ يَقْتَسِمُونَ صفاركِ فوق صحاف الطعام

بعد أن أشعلوا النارَ في العُشِّ ..

والقَشِّ ..

والسنبلة .

وغداً يَذْبَحُونَكَ .. بحثاً عن الكنزِ في الحَوصَلَةِ !

وغداً تُقْتَدَى مُدُنُ الألفِ عام .

مدناً .. للخيام

مدناً ترتقى ذُرَجُ المَقْصَلَةِ !

(الاصحاح الرابع)

دقت الساعة القاسية

وقفوا في ميادينها الجَهْمَةِ الخاوية

واستداروا على دَرَجَاتِ النَّصَبِ

شجراً من لَهَبٍ

تعصف الريحُ بين ورُيقاته الغضة الدانية

فَيَتَيْنُ : « بلادی .. بلادی »

(بلادی البعيدة !)

... ..

دقت الساعة القاسية

« انظروا » ؛ هتفت غانية

تتمطى بسيارة الرقم الجُمُرُكِيِّ ؛

وتمتت الثانية :

سوف ينصرفون إذا البرْدُ حَلَّ .. وَرَانَ التعب

... ..

دقت الساعة القاسية

كان مذياعٌ مقهى يذيع أحاديثه البالية

عن دُعَاة الشغب

وهم يستديرون ؛

يشتلون — على الكعكةِ الحَجَرِيَّةِ — حول النَّصَبِ

شمعدان غَضَبٍ

الوداع !

(الاصحاح السادس)

دقت الساعة الخامسة

ظَهَرَ الْجُنْدُ دَائِرَةً مِنْ دُرُوعٍ وَخُوذَاتِ حَرْبٍ

هَـا هُمْ الْآنَ يَقْتَرِبُونَ رَوِيْدَا .. رَوِيْدَا ..

يَجِيئُونَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ

وَالْمُعْتُونَ — فِي الْكِعْكَةِ الْحَجَرِيَّةِ — يَنْقَبِضُونَ

وَيَنْفَرُجُونَ

كَنَبْضَةِ قَلْبٍ !

يُشْعَلُونَ الْخَنَاجِرَ ،

يَسْتَدْفُونَ مِنَ الْبَرْدِ وَالظُّلْمَةِ الْقَارِئَةِ

يَرْفَعُونَ الْأَنَاشِيدَ فِي أَوَّاجِ الْحَرَسِ الْمُقْتَرِبِ

بِشَبْكَونِ أَيْدِيهِمُ الْعَصَّةَ الْبَائِسَةَ

لِتَصْدِرَ سَاجَاً يَصُدُّ الرِّصَاصَ !

الرِّصَاصِ ..

الرِّصَاصِ ..

وَأَه ..

يَتَوَهَّجُ فِي اللَّيْلِ ..

وَالصَّوْتُ يَكْتَسِحُ الْعَتَمَةَ الْبَاقِيَةَ

يَتَفَتَّى لِلْبَيْلَةِ مِيلَادٍ مِصرَ الْجَدِيدَةِ !

(الاصحاح الخامس)

أَذْكُرْنِي !

فَقَدْ لَوَّنتُنِي الْعَنَاقِيْنَ فِي الصُّحُفِ الْخَائِنَةِ !

لَوَّنتُنِي .. لِأَتَى مِنْذُ الْهَزِيمَةِ لَا لَوْنَ لِي

(غَيْرِ لَوْنِ الضِّيَاغِ)

قَبْلَهَا ؛ كُنْتُ أَقْرَأُ فِي صَفْحَةِ الرَّمْلِ

(وَالرَّمْلُ أَصْبَحَ كَالْعَمَلَةِ الصَّعِيْبَةِ ،

الرَّمْلُ أَصْبَحَ أَبْسَطَةً .. تَحْتَ أَقْدَامِ جَيْشِ الدِّفَاعِ)

فَأَذْكُرْنِي ؛ كَمَا تَذْكُرِينَ الْمُهْرَبَّ .. وَالْمَطْرَبَ الْعَاطِفِيَّ ..

وَكَاثِبَ الْعَقِيدِ .. وَزِينَةَ رَأْسِ السَّنَةِ .

أَذْكُرْنِي إِذَا نَسِيتُنِي شُهُودَ الْعِيَانِ

وَمَضْبَطَةَ الْبِرْلَمَانِ

وَقَائِمَةَ التُّهَمِ الْمُعْلَنَةِ

وَالْوَدَاعَ !

« نَحْنُ فِدَاؤُكُمْ ... »

وتسقط حنجرة مُخْرِسَةٌ

معها يسقطُ اسمُك — يا مصرُ — في الأرضِ
لا يَبْقَى سِوَى الجَسَدِ المَتَشَمِّمِ والصرخاتِ
على الساحةِ الدامسةِ !

دقت الساعة الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

دقت الخامسة

... ..

وتَفَرَّقَ ماؤُك — يانهرُ — حينَ بَلَغْتَ المَصِيبَ !

• • •

المنازلُ أَضْرَحَةٌ ، والزنازُنُ

أَضْرَحَةٌ ، والمدى أَضْرَحُهُ

فارفعوا الأسلحةَ !

ارفعوا

الأسلحةَ

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس
(بكائيات)

(الاصحاح الأول)

عائدون ؛ وأصغرُ إخوتهم ذو العيون الحزينة
يتقلب في الجُبِّ ،

أجملُ إخوتهم .. لا يعود !

وعجوزُ هي القدسُ (يشتعل الرأسُ شيباً)

تشم القميص . فتَيَبِّضُ أعينها بالبكاء ،

ولا تخلع الثوبَ حتى يمجيءَ لها نبأٌ عن فتاها البعيد

أرضُ كنعان — إن لم تكن أنتَ فيها — مراعى من الشوكِ

يُورِثُها الله من شاءَ من أمم ،

فالذى يحرس الأرضَ ليس الصيَّارُف

إن الذى يحرس الأرضَ ربُّ الجنودِ

أه من فى غيدِ سوف يرفعُ هامَتَهُ

غير من طأطأوا حينَ أَرَّ الرصاصُ ؟

ومن سوف يخطب — في ساحة الشهداء —
سوى الجبناء ؟
ومن سوف يغوى الأرامل إلا الذى
سيؤول اليه — أج المدينة ؟!!

(الاصحاح الثانى)

أرشق فى الحائط حد المطواه
والموت يهت من الصحف الملقاة
اتجزأ فى المرأة
يصفعنى وجهى المتخفى تحت قناع النفط
« من يجزؤ أن يضع الجرس الأول فى عنق القط ؟ »

(الاصحاح الثالث)

منظر جانبي لفيروز
(وهى تطل على البحر من شرفة الفجر)
لبنان فوق الخريطة :
منظر جانبي لفيروز ،
والبندقية تدخل كل بيوت (الجنوب)

مطر النار يهطل ، يثقب قلباً .. فقلباً
ويترك فوق الخريطة ثقباً .. فتقباً
وفيروز فى أغنيات الرعاة البسيطة
تستعيد المراثى لمن سقطوا فى الحروب
تستعيد الجنوب !

(الاصحاح الرابع)

البسمة حلم
والشمس هى الدينار الزائف
فى طبق اليوم
(من يمسخ عنى عرق فى هذا اليوم الصائف)
والظل الخائف
يتمدد من نحتي ؛
يفصل بين الأرض .. وبينى !
وفضاءت كبحرف مات بأرض الخوف
(حاء .. باء)
(حاء .. راء .. ياء .. هاء)
الحرف : السيف
مازلت أروء بلاد اللون الداكن

ابحث عنه بين الاحياء الموق والموق الاحياء
حتى يرتد النبض إلى القلب الساكن
لكن .. !!

(الاصحاح الخامس)

منظر جانبي لعمان عام البكاء
والحوادث مرشوشة ببقايا دم لعقته الكلاب
ونهود الصبايا مصايح مطفأة فوق أعمدة الكهرباء
منظر جانبي لعمان ؛
والحرس الملكي يفتش ثوب الخليفة
وهو يسير إلى « إيلياء »
وتغيب البيوت وراء الدخان
وتغيب عيون الضحايا وراء النجوم الصغيرة
في العلم الأجني ،
ويعلو وراء نوافذ « بسمان » عزف البيان

(الاصحاح السادس)

اشترى في المساء

قهوة ، وشطيرة
واشترى سمعتين . وغدارة ؛ وذخيرة
وزجاجة ماء

... ...

عندما أطلق النار كانت يد القدس فوق الزناد
(ويد الله تخلص عن جسد القدس ثوب الحداد)
ليس من أجل أن يتفجر فقط الجزيرة
ليس من أجل أن يتفاوض من يتفاوض
من حول مائدة مستديرة
ليس من أجل أن يأكل السادة الكستناء .

(الاصحاح السابع)

ليغفر الرصاص من ذنبك ما تأخر
ليغفر الرصاص .. ياكستنجر

سفر الف دال

(الاصحاح الأول)

القطارات ترحل فوق قضيين : ما كَانَ — ماسيكُونَ !
والسماء رماد ، به صنع الموت قهوئة ،
ثم ذَرَاه كى تَنْشُقَه الكائناتُ
فينسل بين الشرايين والأفئدة .
كلُّ شيء — خلال الزجاج — يَفْرُ :
رذاذ الغبار على بقعة الضوء ،
أغنية الريح ،
قَنَطَرَةُ النهر ،
سربُ العصافير والأعمدة .
كلُّ شيء يَفْرُ ،
فلا الماء تمسكه اليد ،
والحلم لا يتبقى على شرفات العيون .
... ..

والقطارات ترحل ، والراحلون
يَصِلُونَ .. ولا يَصِلُونَ !

(الاصحاح الثانى)

سنترال :

أعطى للفتيات

(اللواق يَتَمَنَّ إلى جانب الآلة الباردة
شاردات الخيال)

رقمى — رقم المديت — حتى أجيء إلى العُرس
ذى الليلة الواحدة !
أعطيه للرجال ..

عندما يلثمون حبيباتهم فى الصباح ،
ويرتحلون إلى جبهات القتال !
(الاصحاح الثالث)

الشهور زُهورٌ على حافة القلب تنمو
وتُحرقها الشمس ذات العيون الشتائية المطفأة
زهرة فى إناء
توهج فى أول الحب بينى وبينك

تصبح طفلاً .. وأرجوحة .. وامرأة .

زهرة في الرداء .

تَتَفَتَّحُ أَوْرَاقُهَا فِي حَيَاءٍ

عندما تَتَخَاصَرُ في المشية الهادئة .

زهرة من غناء

تتورّد فوق كمنجبات صوتك

حين تفاجئك القبلّة الدافئة

زهرة من بكاء

تتجمّد فوق شجيرة عينيك في لحظات الشجار الصغيرة ،

أشواكها : الحزن والكبرياء .

... ..

زهرة فوق قبر صغير

تنحني ؛ وأنا أنحاشي التطلع نحوك ..

في لحظات الوداع الأخير

تتعرّى ؛ وتلتف بالدمع في كلّ ليل إذا الصمت جاء

لم يعد غيرهما من زهور المساء

هذه الزهرة — اللؤلؤة !

(الاصحاح الرابع)

تحبل الفتيات

في زيارات أعمامهن إلى العائلة

ثم يجهنّهن الزحام على سُلّم « الحافلة »

وترام الضجيج !

... ..

تذهب السيدات

ليُعَالَجْنَ أَسْبَنَانَهُنَّ فَيُؤَمِّنُ بالوحدة الشاملة !

ويُجِدْنَ الهوى بلسان « الخليج » ؟

... ..

يا أبانا الذي صار في الصيدليات والعلب العازلة

تَجَنّا من يد « القابلة »

تَجَنّا . حين نَقْضُم — في جنّة البؤس — تَفَاحَةَ العربات

وثياب الخروج !!

(الاصحاح الخامس)

لأنقل شوق الوحيد
لك ، للسنبلة
للزهور التي تتبرعم في السنة المقبلة
قبليني .. ولا تدمعي !
سحب الدمع تحجيني عن عيونك ..
في هذه اللحظة المثقلة
كثرت بيننا السُّرُ الفاصلة
لا تُضيفي إليها ستاراً جديداً !

(الاصحاح السادس)

كان يجلس في هذه الزاوية .
كان يكتب ، والمرأة العارية
تجول بين الموائد ؛ تعرض فتنها بالثمن .
عندما سألته عن الحرب ، قال لها ..
لا تخافي على الثروة الغالية
فقدو الوطن
مثلنا يحترق
مثلنا .. يعيش السِّلَع الأجنبية ،

تصرخين .. وتخرقين صفوف الجنود
نتعانق في اللحظات الأخيرة ،
في الدرجات الأخيرة .. من سلم المصقلة .
أغمس وجهك !
(هل أنت طفلة المستحيلة أم أمي الأرملة ؟)
أغمس وجهك !
(لم ألك أعمى ..
ولكنهم أرفقوا مقلتي ویدی بملف اعترافي
لتنظره السلطات ..
فتعرف أنني راجعته كلمة .. كلمة ..
ثم وقعته يدي ..
— ربما درس هذا المحقق لي جملة تنتهي بي إلى الموت ! —
لكنهم وعدوا أن يعيدوا إلي يدي وعيني بعد
انتهاء المحاكمة العادلة !)
زمن الموت لا ينتهي يا ابنتي الناكلة
وأنا لست أول من نبأ الناس عن زمن الزلزلة
وأنا لست أول من قال في السوق :
ان الحمامة — في الغر — تحتضن القنبلة !
قبليني ؛ لأنقل سرّي إلى شفتيك ،

يكره لحم الخنازير ،
يدفع للبندقية .. والغاية .
.. فيكتب !

... ..

كان يجلس في هذه الزاوية .
عندما مرّت المرأة العارية

ودعاها ؛ فقالت له إنها لن تُطيل القعود
فهي منذ الصباح تُفتشُ مستشفيات الجنود
عن أخيها المحاصر في الضفة الثانية
(عادت الأرض .. لكنه لا يعود !)

وحكّت كيف تحمل العبء طيلة غربته القاسية
وحكّت كيف تلبس — حين يجيء — ملابسها الضافية
وأرثته له صورة بين أطفاله .. ذات عيد
.. وبكت !!

(الاصحاح السابع)

أشعر الآن أني وحيد ؛
وأن المدينة في الليل ..

(أشباحها وبنائها الشاهقة)
سفن غارقة

نهبتها قراصنة الموت ثم رمتها إلى القاع منذ سنين .
أسند الرأس ربّانها فوق حافتها ،
وزجاجة خمر محطمة تحت أقدامه
وبقايا وستام ثمين .

وتشبّت بجارة الأمس فيها بأعمدة الصمت في الأروقة
يتسلّل من بين أسماهم سمك الذكريات الحزين .
وخناجر صامتة ..
وطحالب نابثة ..

وسلال من القطط النافقة .
ليس ما ينبض الآن بالروح في ذلك العالم المستكين
غير ما ينشر الموج من علم .. كان في هبة الريح
والآن يفرك كفيه في هذه الرقعة الضيقة
سيظلّ على الساريات الكسيرة يخفق ..
حتى يذوب .. رويداً .. رويداً ..

وبصداً فيه الحنين
دون أن يلمّ الريح ثانية ، أو يرى الأرض ،
أو ينتهّد .. من شمسها المحرقة !

(الاصحاح الثامن)

آه .. سيدتي المسبلة

آه .. سيدة الصمت والفتات الودود

لم يكن داخل الشقة المقفلة

غير قيط وحيد .

حين عادت من السوق تحمل سلتها المثقلة

عرفت أن ساعي البريد

مر ..

(في فتحة الباب كان الخطاب

طريحا ..

ككاتب الشهيد !)

قفز القط في الولولة

قفزت من شبائك جيرانها الأسفة

... ..

آه .. سيدة الصمت والكلمات الشرود

آه .. أيتها الأرملة !

(الاصحاح التاسع)

دائما .. حين أمشي ؛ أرى السترة القرمزية

بين الزحام .

وأرى شعرك المتهدل فوق الكنف .

وأرى وجهك المتبدل .. فوق مرايا الجوانيت ،

في الصور الجانبيّة ،

في نظرات البنات الوحيدات ،

في لمعان خدود المحبين عند حلول الظلام .

دائماً أنحسّ ملمس كفك في كل كف .

المقاهي التي وهبتنا الشراب ،

الزوايا التي لا يرانا بها الناس ،

تلك الليالي التي كان شعرك يبتل فيها ..

فتختبئين بصدرى من المطر العصبى

الهدايا التي تنشاجر من أجلها ،

حلقات الدخان التي تتجمّع في لحظات الحصام

دائما أنت في المنتصف !

أنت بينى وبين كنانى ..

وبينى وبين فراشي ..

وبينى وبين هدوني ..

وبينى وبين الكلام .

ذكر ياتلك سجنى ، وصوتك يجلدى
ودمى قطرة — بين عينيك — ليست تجف !
غامنحنى السلام !
امنحنى السلام !

(الاصحاح العاشر)

الشوارعُ فى آخر الليل .. آه
أرامل متشحات يتهنهن فى عتبات القبور — البيوت .
قطرة .. قطرة ، تتساقط أدْمُعهن مصاييح ذابلة
تشبث فى وجنة الليل ثم .. تموت !

... ..

الشوارع فى آخر الليل .. آه
خيوط من العنكبوت .

والمصاييح — تلك الفراشات — عالقَة فى مغالها
تتلوى .. فتعصرها ، ثم تَنَحَّلُ شيئاً . فشيئاً
فتمتص من دمها قطرة .. قطرة ؛
فالمصاييح قوت !

... ..

الشوارع فى آخر الليل .. آه

أفاج تنام على راحة القمر الأبدى الصموت .
لَمَعَانُ الجلود المفضضة المستطيلة يغدو مصاييح
مسمومة الضوء ، يغفو بداخلها الموت ،
حتى إذا غرب القمر : انطفأت
وغلى فى شرايينها السم
تنزفه قطرة .. قطرة ؛ فى السكون المميت !

... ..

... ..

وأنا كنتُ بين الشوارع وحدى !
وبين المصاييح وحدى !

أنصب بالحزن بين قميصى وجلدى

قطرة .. قطرة ؛ كان حى يموت

وأنا خارج من فراديسه ..

دون ورقة توت !!

ممدودة — كالنداء
ومشدودة — كالوتر

... ..
وتظل .. وحيدة !!

مزامير

المزموّر الأول

أعشق أسكندرية ،

واسكندرية تعشق رائحة البحر ،

والبحر يعشق فاتنة في الضفاف البعيدة !

• • •

كل أمسية ؛ تتسلل من جانبي

تتجرّد من كل أثوابها

وتحلّ غداؤها

ثم تخرج عارية في الشوارع تحت المطر !

فاذا اقتربت من سرير التنهّد والزُرقة

انطرحت في ملاءاته الرغوية ؛

وانفتحت .. تنتظر !

المزموّر الثاني

قلتُ لها في الليلة الماطرة :

البحر عنكبوت

وأنت — في شراكه — فراشة تموت

وانتفضت كالقطة النافرة

وانتصبت في خفقان الريح والأمواج

(ثديان من زجاج

وجسد من عاج)

وانفلتت مبحرة في رحلة المجهول ، فوق الرّبد المُهتاج

ناديت .. ما ردّت !

صرخت .. ما ارتدّت !

وظلّ صوتي يتلاشى .. في تلاشيها ..

وراء الموجة الكاسرة)

....
....
....
(خاسرة ، خاسرة)

إن تنظري في عَيْنِي الغريمة الساحرة
أو ترفعي عينيك نحو الماسة التي تزين التاج !

المزمور الثالث

لفظ البحر أعضاءها في صباح أليم
فرايتُ الكلوم
ورأيتُ أظافرها الدموية
تتلوى على خصلة « ذهبية »
فحشوتُ جراحاتها بالرمال ،
وأدفأتها بنبذ الكروم ..

....

وتعيشُ معي الآن !
ما بيننا حائطٌ من وجوم
بيننا نسماثُ « الغريم »
كلُّ أمسية ..

تسلل في ساعة المد ، في الساعة القمرية
تسترخ على صخرة الأبدية ..

تسمعُ سخريّة الموج من تحت أقدامها
وصفير البواخر .. راحلة في السواد الحميم
تصاعدُ من شفتيها المملحتين رياحُ السموم
تساقط أدمعها في سهوم
والنجوم

(الغريقة في القاع)

تصعدُ .. واحدة .. بعد أخرى ..

فتلقطها

وتعدُّ النجوم

في انتظار الحبيب القديم !

المزمور الرابع

(ترنيمة لشهر يناير)

فجأة .. يَجْفُلُ خطو القلب ،
تهتزُّ الكريّات الرصاصيّة في سلّته

(هل اصْبَعُ الوحْدَةَ أم اصْبَعُكَ المصْبوغُ بالْحَتَاءِ ؟)

في الخارج أسوارٌ وأمطارٌ ،
غلافُ الليل ينشَقُّ عن الرعد
غلافُ القلب ينشَقُّ عن الوجد
مساحاتٌ من الضوء الرمادى
أنا النافذةُ المغلقةُ السوداء
والتفاحةُ الحمراء
والأسماءُ

(لاسمى كان مكتوباً على طَرْفِ قميصى
قبل أن يَغْلَقَ فى سلكِ الحدودِ الشائِكِ !)
النهرُ ضميرى (ولعينيكِ انسيابُ النهرِ)
ما أقسى انتظارى ! ..

وفؤادى ساعةٌ رمليةٌ صفراءُ
تَهْوِى الرملُ فى أعماقها شيئاً فشيئاً
ربما للرملِ طعمُ الملح أحياناً .. وطعمُ الانتظارِ !!

(المزمور الخامس)

كان فستائلكِ فى الصيفِ فى الكتَّانِ ،

وانزهرة فى صدركِ بيضاء ،

ولكن الشتاءُ الآن يكسوكِ بلونِ السل والرجس
(حتى ورقةُ الثوبِ على فخذيكِ .. صفراءُ !)
هل الماءُ يفيضُ الآنَ فى البئرِ ؟
هل الماءُ يفيضُ الآنَ فى البئرِ ؟
أماءُ ؟ أم دَمٌ ؟

(هذا الندى القاتلُ ذو الوجهين)

كان النأى يمتدُّ من الضفَّةِ للضفَّةِ
من صدركِ إلى صدركِ
كان النأى ممتدّاً

ولونُ الليلِ بين البرتقالِ — الرَّمادى — السماوى
وفى شعركِ غاباتٌ من الوحشةِ والصمتِ ؛
هوى نَجْمٍ ؛ وفى الثانيةِ التاليةِ اصطكَّتْ يدى
فى الشبحِ العابرِ

(هل كانت يدى فى يدكِ اليسرى ؟)
وفى الثانيةِ التاليةِ اصطكَّتْ يدى فى كلمةِ السجني
على وجهِ الجدارِ !!

المزمور السادس

نَحْنُ صَوْتَان ..

(إِذْنُ فَالصَوْتُ قَدْ أَصْبَحَ صَوْتَيْنِ ؟)

تَنَزَّهْنَا عَلَى خَطِّ اسْتَوَاءِ الْمَوْتِ ،

لَمَلَمْنَا الْبَيْفَسُخْ

وَتَسَلَّقْنَا شِعَاعَ الزَّهْوِ ، خَلَجْنَا مَزَالِيحَ الْبُيُوتِ

وَقَدْخْنَا خَجَرَ الْحُبِّ ؛ جَلَسْنَا نَتَوَهَّجْ

فَاخْلَفِي بِاسْمِي ، وَبِاسْمِ الْعَنْكَبُوتِ

بِاسْمِ نَقْشِ الذِّكْرِيَّاتِ الْمُتَعَرِّجِ

وَرَكَايَ الذِّكْرِيَّاتِ السَّرْجِ

أَنهَا وَرَقَةُ تَوْتُ

سَقَطْتُ عَنْ عَوْرَةِ الصَّيْفِ ،

وِظَلْتُ تَنْدَحْرُجْ

فَوَقَفْنَا نَتَفَرَّجْ

(دُونَ أَنْ تَطْرُفَ) حَتَّى سَقَطْتُ فِي النَّهْرِ ..

وَارْتَدَّ السَّكُوتُ !

المزمور السابع

جاء الاناسُ المِيتُونَ ، يَحْمِلُونَ

كُفَاتِهِمْ ؛ أَطْيَارُهُمْ لَيْسَتْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ ؛

يَسْتَفْسِرُونَ :

« مَاذَا أَقَى بَنَا هَذَا ؟ ! »

أَنْتَ بِكُمْ امْرَأَةٌ خَاطِلَةٌ

نَهَوْدُهَا دَافَةٌ

وَلَحْمُهَا مُعْطَرُ النَّكْهَةِ

قَدْ اسْتَدَارَتْ فِي فِرَاشِهَا بَرَهَةً

عَانَقَتْ الْجِدَارَ ، قَبِلَتْ وَجْهَهُ

« يَا أَيُّهَا الْجِدَارُ .. لَا تُبَيِّحْ بِنَا تَرَى

وَلَا تُقْلِعْ عَنِ الَّذِينَ يُولَدُونَ

وَعَمِغَمِ الْجِدَارِ : »

يَا صَدِيقَتِي الْطِفْلَةَ

مَاتَ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ !

... ..

وَمَرَّتِ اللَّيْلَةُ

فَرُبَّمَا كَانَ أَبَاكُمْ الْجِدَارُ ،

رُبَّمَا يَكُونُ !

المزمور الثامن

(شَجْوِيَّة)

لماذا يتابعني أينما سرتُ صوتُ الكَمَانِ ؟

أَسَافِرُ في القاطراتِ العتيقة ،

(كى أتحدّث للغرباء المُسِينِ)

أرفع صوتي ليظفني على ضجّة العجلاتِ

وأغفو على نبضاتِ القطارِ الحديديةِ القلبِ

(تهدر مثل الطواحين)

لكنها بغتة .. تتباعد شيئاً فشيئاً

ويصحو نداء الكمان !

• • •

أسيرُ مع الناسِ ، في المهرجانات :

أصغى لبوق الجنودِ الحُجاسِ

يملاً حلقي غبارُ النشيدِ الحماسِ

لكنني فجأة .. لا أرى !

تتلاشى الصفوفُ أمامي

وينسربُ الصوتُ مبتعداً

ورويداً .. رويداً يعود إلى القلب صوتُ الكمانِ

لماذا إذا ما تبيّنتُ للنوم يأتني الكَمَان ..

فأصغى له آتياً من مكان بعيد

فتصمت مهممةً الريح خلف الشبايلِك ،

نبضُ الوسادةِ في أذني

تراجُعُ دقاتِ قلبي ،

وأرحل في مدن لم أزرها

شوارعها فضةً .

وبناياتها من خيوط الأشعة .

ألقي التي واعدتني على ضفةِ النهر واقفة !

وعلى كتفها يحطُ اليمامُ الغريبُ

ومن راحتها يغط الحنان !

أحبك ، صارَ الكمانُ كموبَ بنادق

وصارَ يمامُ الحداثِ .

قابلُ تسقط في كلِّ آن

... ...

وغابَ الكمان !

من أوراق أبو نواس

(الورقة الأولى)

« ملك أم كتابة ؟ »

صاحبي صاحبى ؛ وهو يُلقى بدرهمه فى الهواء
ثم يلقفه ..

(تخرجين من الدرس كُنّا .. وحبرُ الطفولة فوق الردى
والعصافيرُ تمرّق عبرَ البيوت ،
وتهبّ فوق النخيل البعيد !)

... ..
« ملك أم كتابة ؟ »

صاحبي .. فانتبهت ، وزفت ذبابه
حول عينين لامعتين ..

فقلت : « الكتابة »

... فتّح اليد مبتسما ؛ كان وجه المليك السعيد
باسماً فى مهابة !

« ملك أم كتابة ؟ »

صحّت فيه بدورى ..

فرفر فى مقلتيه الصبا والنجاة

وأجاب : « الملك »

دون أن يتلعثم .. أو يرتبك

وفتح يدي ..

كان نقش الكتابة

بارزاً فى صلابه !

دارت الأرض دورتها ..

حملتنا الشواذيف من هدأة النهر

ألقى بنا فى جداول أرض السراية

نتفرق بين حقول الأسي .. وحقول الصباية .

قطرتين ؛ التقينا على سلّم القصر ..

ذات مساءً وحيداً

كنت فيه : نديم الرشيد

بينما صاحبي .. يتولى الحجابة !!

(الورقة الثانية)

من يملك العلة يُمسك بالوجهين
والفقراء بينَ يَينَ !

(الورقة الثالثة)

نائماً كنتُ جانبَه ؛ وسمعتُ الحرسَ

يوقظون أُنَى !

— خارجيُّ

— أنا .. !

— مارقٌ

— من ؟ أنا !

صرخَ الطفلُ في صدر أُمِّي

(وأُمِّي محلولةُ الشعر واقفةٌ في ملابسها المنزلية)

— إخرسوا

واختبأنا وراء الجدارِ

— اخرسوا

وتسلَّلَ في الحلقِ خيطٌ من الدمِ

كان أُنَى بِمَسْكُ الجرحِ ،

بِمَسْكُ قامته .. ومَهَابَتِه العائليَّة !

— يا أُنَى

— اخرسوا

وتواريت في ثوب أُمِّي ، والطفلُ في صدرها مائتسُ

ومضوا بأُنَى تاركين لنا اليم متشحاً بالحرس

(الورقة الرابعة)

أَيُّهَا الشَعْرُ .. يا أَيُّهَا الفرح. المُختَلَسُ

... ..

كل ما كنتُ أكتبُ في هذه الصفحة الورقيَّة

صادرته العسَنُ

... ..

(الورقة الخامسة)

(الورقة السادسة)

لا تسألني إن كان القرآن
مخلوقاً أو أزلني
بل سألني إن كان السلطان
لصاً .. أو نصف نبي

(الورقة السابعة)

كنت في كربلاء
قال لي الشيخ أن الحسين
مات من أجل جرعة ماء
... ..
وتساءلت كيف السيوف استباححت بني الأكرمين
فأجاب الذي بصرت السماء
إنه الذهب المتلألئ في كل عين
... ..
إن تكن كلمات الحسين
وسيوف الحسين

... وأمي محادمةً فارسيه
يتناقل سادتها قهوة الجنسي وهي تدبر الحطب
يتبادل سادتها النظرات لاردافها ..
عندما تنحني لتضيء اللهب
يتندّر سادتها الطييون بلهجتها الأعجمية !

• • •

نائماً كنت جائها ، ورأيت ملاك القدس
ينحني ، ويربّت وجنتها
وتراخي الذراعين عني قليلاً
وسارت بقلبي قشعريرة الصمت
— أمي ؛ وعاد لي الصوت
— أمي ؛ وجاؤني الموت
— أمي ؛ وعانقتها .. وبكيت
وغام بي الدمع حتى احتبس !

• • •

وجلالُ الحسين
سَقَطَتْ دونَ أنْ تُنْقِذَ الحقُّ من ذهبِ الأمراءِ
أُفْتَقِدَ أنْ تُنْقِذَ الحقُّ ثُرثُرَةَ الشعراءِ
والفراءُ لسانَ من الدم لا يجِدُ الشفتينِ ١٩

• • •

ماتَ من أجلِ جرعةِ ماءٍ •
فاسقني يا غلام صباح مساء
اسقني يا غلام ..
علني بالمدام ..
أتناسي الدماء !

(١)

اللَّوْحَةُ الأولى على الجدار :
ليلي « الدمشقية »
من شرفة « الحمراء » ترنو لمغيبِ الشمسِ ،
ترنو للخيوطِ البُرْتَقَالِيَّةِ
وكرمةِ أُنْدَلُسِيَّةٍ ، وفسقيَّةٍ
... ..
وطبقاتُ الصمْتِ والغبارِ !
نقش
(مولاي ، لا غالب إلا الله !)

اللوحةُ الأخرى .. بلا إطار :
 للمسجد الأقصى .. (وكانَ قَبْلَ أن يحترقَ الرِواقُ)
 وقبةُ الصخرة ، والبَرائقُ
 وآيةُ تآكلتْ حروفها الصغار !
 نقش

(مولائى ، لا غالبَ إلا .. القار !)

اللوحةُ الدائمةُ الخطوط ، والواهيّةُ الخيوط :
 لعاشقٍ يحترقُ الأجفانُ
 كان اسمُه « سَرَحان »
 يمسكُ بندقيّةً .. على شَفَا السَّقُوطِ
 نقش

(بينى وبين الناسِ تلكَ « الشَّعره »
 لكن من يقبضُ فوقَ الثَّورَةِ
 يقبضُ فوقَ الجَمرةِ !)

اللوحةُ الأخيرة :
 خريطةُ مبتورةِ الأجزاء
 كان اسمُها « سيناء »
 ولطخةُ سوداءَ
 تملأُ كلَ الصورةِ

نقش
 (الناسُ سواسيةٌ — فى الذَّلْ — كأَسنانِ المشطِ
 ينكسرون — كأَسنانِ المشطِ
 فى لحيةِ شبيخِ النفطِ !)

• • •

كتابة فى دفتر الاستقبال :
 لا تسألى النِيلَ أن يُعطى وأن يَلِدَا
 لا تسألى .. أبدا
 لئنمى لأفتَحَ عينى (حينَ أفتَحُها !)
 على كثيرٍ .. ولكنْ لأرى أحدا !!

يبيعون لسيارات أصحاب الملايين .. الرياحين
 وفي « المترو » يبيعون الدبايس و« يس »
 وينسلون في الليل يبيعون « الجعارين »
 لأفواج الغزاة السائحين !

« خاتمة »

... ..
 هذه الأرض التي ما وَعَدَ اللهُ بها ..
 مَنْ خرجوا من صُلُبها ..
 وانغرسوا في تربها ..
 وانطرحوا في حُبها ..
 مُسْتَشْهِدِينَ !

... ..
 فادخلوها « بسلام » آمين !!

آه .. من يُوقِفُ في رأسى الطواحين ؟
 ومن يَنْزِعُ من قُلُوبِ السكاكين ؟
 ومن يَقْتُلُ أطفالى المساكين ..
 لئلا يكبروا في الشُّقَى المَفْرُوشَةِ الحمراء
 خَدَامِينَ ..
 مَأْمُونِينَ ..
 قَوَادِينَ ..

من يَقْتُلُ أطفالى المساكين ؟
 لكيلا يصبحوا — في الغد — شَحَازِينَ ..
 يستجدون أصحاب الدكاكين
 وأبواب المرائب

أَقْتَوَالُ جَدِيدَةٍ
عَنْ
حَرْبِ الْبَسْوَئِ

مقتل كليب « الرصايا العشر »

.. فنظر « كليب » حواله وتحمس ، وذرف دمعة وتعبّر ، ورأى
عيداً واقفاً فقال له : أريد منك يا عبد الخير ، قبل أن تسلبني ، أن
تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير ، لأكتب وصيتي
إلى أخي الأمير سالم الزبير ، فأوصيه بأولادي وقلدة كبدي ..

فسحبه العبد إلى قرب البلاطة ، والرحم غارس في ظهره ، والدم
يقطر من جنبه .. فغمس « كليب » إصبعه في الدم ، وخط على
البلاطة وأنشأ يقول ..

قصّة الأمير سالم الزبير

لاتصالح

(١)

لاتصالح !

.. ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقاً عينيك ،

ثم أثبتت جوهريتين مكانهما ..

هل ترى .. ؟

هى أشياء لا تشتري .. :

ذكرهاث الطفولة بين أخيك وبينك ،

حسكُما - فجأة - بالرجولة ،

هذا الحياء الذى يكبت الشوق .. حين تعانقه ،

الصمت - مبتسمين - لتأنيب أمكما ..

وكانكما

ما تزالان طفلين !

تلك العمانينة الأبدية بينكما :

أن سيفاني سيفك ..

صوتاني صوتك

أنك إن مت :

للييت ربُّ

وللطفل أب .

هل يصير دمي - بين عينيك - ماء ؟

أتنسى ردائي الملطخ ..

تلبس - فوق دماي - ثياباً مطرزة بالقصب ؟

إنها الحرب !

قد ثقّل القلب ..

لكن خلفك عاز العرب .

لا تصالح ..

ولا تتوخّ الهرب !

(٢)

لاتصالح على الدم .. حتى بدم !
لاتصالح ! ولو قيل رأس برأس ،
أكل الرزوس سواء ؟ !
أقلب الغريب كقلب أخيك ؟ !
أعيناه عينا أخيك ؟ !
وهل تتساوى يد .. سيفها كان لك
ييد سيفها أنكلك ؟

سيقولون :

جفناك كى تحقن الدم ..
جفناك . كن — يأمر — الحكم

سيقولون :

ها نحن أبناء عم .
قل لهم : إنهم لم يُراعوا العمومة فيمن قلك .
واغرس السيف في جبهة الصَّحراء ..
إلى أن يجيب القدم .
لأننى كنت لك .
فارساً .

وأخاً .
وأباً .
ومليك !

(٣)

لاتصالح ..
ولو حرمتك الرقاد
صرخات الندامة .
وتذكر ..

(إذا لأن قلبك للنسوة اللابسات السواد ولأطفالهن الذين
تخاصمهم الابتسامة)
أن بنت أخيك « الجمامة »
زهرة تسريل — فى سنوات العبا —
بثياب الحداد .

كنت ، إن عدت :

تعدو على درج القصر ،
تمسك ساقى عند نزولى ...
فأرفعها — وهى ضاحكة —
فوق ظهر الجواد .

ها هي الآن .. صامتة .

حرمها يدُ الغدير :

من كلماتِ أيها ،

أرتداء الثياب الجديدة ،

من أن يكون لها — ذات يوم — أخ !

من أب يتَّسَّم في عرسها ..

وتعود إليه إذا الزوجُ أغضبها ..

وإذا زارها .. يتسابق أحفاده نحو أحضانها ،

لينالوا الهدايا ..

ويهلوا بلحيته (وهو مستسلم)

ويشُدُّوا العمامة .

لا تصالُح !

فما ذنبُ تلك البجامة

لترى العنَّسَ محترقاً .. فجأةً ،

وهي تجلس فوق الرماذ ؟ !

(٤)

لاتصالُح

ولو تُوجوِّكُ بتاج الإمارة .

كيف تحطو على جثة ابن أبيك .. ؟

وكيف تصيرُ المليك ..

على أوجهِ البهجة المستعارة ؟

كيف تنظر في يد من صافحوك ..

فلا تبصر الدم ..

في كلِّ كف ؟

ان سهماً أتانى من الخلف ..

سوف يخيِّطُك من أليف تخلف .

فالدُّم — الآن — صار وساماً وشارة .

لاتصالُح ،

ولو تُوجوِّكُ بتاج الإمارة

إن عرشك : سيف

وسيفك : زيف

إذا لم تَرِنْ — بذؤابه — لحظاتِ الشرف

واستطبَّبت — الترف

لاتصالح

ولو قال مَنْ مال عند الصدام

« .. ما بنا طاقة لامتشاق الحسام .. »

عندما يملأ الحق قلبك :

تدلع النار إن تَنفَسْ

ولسان الخيانة يخرس

لاتصالح ،

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام .

كيف تستنشق الرثاين النسيم المَدُنْ ؟

كيف تنظر في عيني امرأة ..

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها ؟

كيف تُصَبِّح فارسها في الغرام ؟

كيف ترجو غداً .. لوليد ينام

— كيف تعلم أو تتغنى بمستقبل لغلام

وهو يكبر — بين يديك — بقلب منكس ؟

لا اتصالح

ولا تفتسم مع من قتلوك الطعام .

وأرو قلبك بالنم ..

وأرو التراب المقدس ..

وأرو أسلافك الراقدين ..

الى أن ترد عليك العظام !

(٦)

لاتصالح ،

ولو ناشدتك القبيلة

باسم حزين « الجليلة »

أن تسوق الدهاء ،

وتبدي — لمن قصدوك — القبول .

سيقولون :

ها أنت تطلب ثاراً يطول .

فخذ — الآن — ما تستطيع :

قليلاً من الحق ..

فى هذه السنوات القليلة .

إنه ليس ثأرك وحدك ،

لكنه ثأر جيل فجيل .

وعدا ..

سوف يولد من يلبسُ الدرْعَ كاملةً ،
يوقد النارَ شاملةً ،
يطلبُ النارَ ،
يستولد الحقَّ ،
من أضلَعِ المستحيل .

لا تصالُح ،
ولو قيلَ إن الصالِحَ حيلةٌ .
إنه النارُ .
تبهتْ شعلتهُ في الضلوع ..
إذا ما توالَتْ عليها الفصول ..
ثم تبقى يدُ العارِ مرسومةً (بأصابعها الخمس)
فوق الجباهِ الذليلة ! .

(٧)

لا تصالُح ، ولو حذَرْتُكَ النجوم
ورمى لك كُهانها بالنبا ..
كنتُ أغفر لو أننى ميتٌ ..

ما بين خيطِ الصوابِ وخيطِ الخطأ .
لم أكن غازياً ،
لم أكن أَسْلُلُ قَرَبَ مضاربهم
أو أحومُ وراءَ التخوم
لم أمدَّ يداً لئامِ الكروم
أرضُ بستانهم لم أطأ
لم يصيخُ قاتلي لى : « اتَّيْبَة ! »
كان يمشى معى ..
ثم صافحني ..
ثم سار قليلاً
ولكنه في الفصولِ أختبأ !
فجأةً :
تَقَبَّضْنِي قُسُغُورُهُ بين ضلعين ..
واهتزَّ قلبي — كَفْقَاعَةٌ — وانفَعًا .

وتحاملتُ ، حتى احتلمتُ على ساعدى
فرايتُ : ابنَ عمى الزنيم
واقفاً يتشقى بوجهِ لئيم

ليقتلني بمشيئته

ليس أنبل متى .. ليقتلني يسكينتيه ،
ليس أمهر متى .. ليقتلني باستدارته الماكرة

لا تصالـح ،

فما الصلـح إلا معاهدة بين نذنين ..

(في شرف القلب)

لا تُنتَقِصْ

والذى اغتالنى مُحَضُّ لَصْ

سَرَقَ الأرضَ من بين عيني

والصمتُ يُطلقُ ضحكته الساخنة !

(٩)

لا تصالـح ،

ولو وَقَفْتَ ضِدَّ سَيْفِكَ كُلِّ الشيوخ ،

والرجالُ التى ملأتمها الشروع ،

هؤلاء الذين يُحِبُّونَ طعمَ التريـد ،

وامتطاء العبيد ،

لم يكن فى يدى حرية ،

أو سلاـح قديم ،

لم يكن غيرُ غيظى الذى يَتَشَكَّى الظُّمأ .

(٨)

لا تصالـح ،

إلى أن يعودَ الوجودُ لدورته الدائرة :

النجومُ .. لميقاتيها

والطيورُ .. لأصواتيها

والرمالُ .. لذراتيها

والقتيلُ لطفاته الناضرة .

كُلُّ شئٍ تحطُّمُ فى لحظةٍ عابرة :

الصبا — بهجة الأهلِ صَوْتُ الحصان — التعرفُ بالضيـف — مهمةُ

القلبِ حين يرى برعماً فى الحديقة يندى — الصلاةُ لكى ينزَلَ المَطَرُ

الموسمى — مراوغة القلبِ حين يرى طائرَ الموتِ

وهو يرفرفُ فوقِ المباراةِ الكاسرة .

كُلُّ شئٍ تحطُّمُ فى نزوةٍ فاجرة .

والذى اغتالنى : ليس ربأ ..

هؤلاء الذين تدلّت عمامتهم فوق أعينهم ،
وسيوفهم العريئة قد نسيّت سنوات الشموخ
لا تصالّح ،

فليس سوى أن تريّذ .

أنت فارسُ هذا الزمانِ الوحيدِ
وسواك .. المسوخ !

((١٠))

لاتصالّح
لاتصالّح !

« فلما جاءته الوفود ساعية الى الصلح ، قال لهم الأمير سالم
أصالح اذا صالحت اليمامة . فقصدت الى اليمامة أمها الجليلة ومن مع
من نساء سادات القبيلة ، فدخلن إليها ، وسلمن جميعا عليها ، وقبل
الجليلة بنتها وقالت : أما كفى ؟ فقد هلكت رجالنا وساعت أحوالنا
وماتت فرساننا وأبطالنا . فأجابتها اليمامة : أنا لا أصالح ، ولو لم يبق
أحد يقدر أن يكافح .. »

نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٧٦

أبى .. لا مزيد !

أريد أبى ، عند بوابة القصر ،

فوق حصان الحقيقة ،

منتصباً .. من جديد

...

ولا أطلب المستحيل ، ولكنه العدل :

هل يرث الأرض الابنوها ؟

وهل تناسي البساتين من سكنوها ؟

وهل تتكسر أغصانها للجنود ..

(لأن الجنود تهاجر في الاتجاه المعاكس ؟ !)

هل تترجم قيامة الصمت ..

الا إذا عادت القوس تذرغ أوتارها القصية ؟

والصنر ! حتى متى يتحمل أن يحبس القلب ..

قلبي الذي يشبه الطائر الدموي الشريد ؟

... ..

هي الشمس ، تلك التي تطلع الآن ؟

أم أنها العين - عين القتل - التي تتأمل شاخصة :

دمه يترسب شيئاً فشيئاً ..

وينضّر شيئاً فشيئاً ..

فتطلع من كل بقعة دم : فم قرمزي ..

وزهره شر ..

وكفان قابضتان على منجل من حديد ؟

هي الشمس ؟ أم أنها التاج ؟

هذا الذي يتقل فوق الرؤوس الى أن يعود

الى مفترق الفارس العربي الشهيد ؟

... ..

أقول لكم : أيها الناس كونوا أناسا !

هي النار ، وهي اللسان الذي يتكلم بالحق !

ان الجروح يطهرها الكى ،

والسيف يصفله الكثير ،

والخبز ينضجه الوهج ،

لاتدخلوا معمدانية المياء ...

بل معمدانية النار ..

كونوا لها الحطَب المُشْتَهَى والقلوب : الحجارَة ،

كونوا .. الى أن تعود السماوات زرقاء ،

والصحراء بثولا ..

تسير عليها النجوم محملة بسلال الورود .

... ..

أقول لكم : لا نهاية للدم ..

هل في المدينة يضرب بالبورق ، ثم يظل الجسد

على سرير النوم ؟

هل يرفع الفخ من ساحة الحقل .. حتى تطمئن العصافير

أن الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للشعابين ..

حتى يسود السلام

فكيف أقدم رأس أوى ثمناً ؟

من يطالبني أن أقدم رأس أوى ثمناً .. تهر القوافل آمنة

وتبيع بسوق دمشق : حرها من الهند ،

أسلحة من بخارى .

وتبتاع من بيت جالا العبيد .

« مرأى الحمامة ،

صار ميراثنا في يد الغرباء .

وصارت سيوف العدو : سقف منازلنا .

نحن عباد همس يشير بأوراقه نحو أزقة الظل .

إن التوبخ الذي يتناول :

يخرق هامته السقف ،

يخطر قامته السيف ،

إن التوبخ الذي يتناول :

يسقط في دمه المنسكب !

نستقى — بعد خيل الأجانب — من مياء أبارنا .

صوف حملاننا ليس يلتف إلا على مغزل الجزية .

النار لاتوهج بين مضاربنا .

بالعيون الخفيفة نستقبل الضيف .

أبكارنا نبات ..

وأولادنا للفراس ..

ودراهمنا فوقها صورة الملك الْمُقْتَصِب .

أيادي الصبايا الخنائن تَضُمُّ على صدره نصف ثوب .
وتَبْقَى عيُونُ كليب مسمرة في شواشي الجنائن .

أسائل :

من للصغار الذين يَطْرُونَ — كالتحلل — فوق التلال ؟

ومن للعذارى اللواتي جَعَلْنَ القلوب :

قواهر تحفظ رائحة البرتقال ؟

ومن سيروضُ مَهَر الخيال ؟

ومن سيضمّد — في آخر الصيد — جُرح الغزال ؟

ومن للرجال ..

إذا قيل : ما نسبُ القوم ، ؟ ...

فانسكبت في خلود الرمال دموع السؤال ؟

بناتُ أوى — الزهراء الصغيرات — يسألنني

لم أبكى أبى !

ويكمن مثل ،

ويخلدن للتوئم حين أغالب دمعى ،

وأروي لمن الحكايا

عن المليك النسر

والليلك الثعلب

فإن يَمَنَّ .. جاء أوى .. ليَهْزُ الأراجيح ..

يلمس وجناتهن ..

ويعطى لمن اللعب ..

ويمضى .. وعيناه مسبلتان ..

وساقاه تشتكيان التعب ..

أبى ظامىء يارجال

أريقوا له الدم كي يرتوى .

وصبوا له جرعة جرعة في الفؤاد الذى يكتوى

عسى دمه المتسرب بين عروق النباتات ،

بين الرمال ..

يعود له قطرة قطرة ..

فيعود له الزمن المنطوى .

.....

خصومة قلبي مع الله .. ليس سواه
أبى أخذ الملك سيفاً لسيف ، فهل يؤخذ الملك
منه اغتيالاً ،

وقد كللته يدا الله بالتاج ؟ !
هل تنزع التاج إلا اليدان المباركتان ،
وهل هان ناموسه في البيّة
حتى يتوج لص .. بما سرقته يداه ؟
خصومة قلبي مع الله ..

إني أنزه سهم منيته أن يجيء من الخلف ،
إن الذي يطلق السهم ليس هو القوس ..
بل قلب صاحبه ،

والذى يجعل النفس تستقبل الموت راضية .. تبذل واهبه .
فأنا أرفض الموت غدرأ ..

فهل نزل الله غن سهمه الذهبى لمن يستهين به .
هل تكون مكان أصابعه .. بصمات الخطاه ؟

خصومة قلبي مع الله .. ليس سواه !

كليب يموت ..

ككليب تصادفه في الفلاة ؟

إذن فلماذا كسا وجهه الصورة الآدمية ؟

هل كرم الله انسانيه ؟

مات من مات كليباً .. فأين إذن ذهب الآدمى الذى
قد براه ؟

خصومة قلبي مع الله

قلبي صغير كفستفه الحزين .. لكنه في الموازين

أثقل من كفة الموت

هل عرف الموت فقد أبيه ،

هل اغترف الماء من جلول الدمع ،

هل ليس الموت ثوب الحيداد الذى حاكه .. ورماه ؟

خصومة قلبي مع الله

أين وريث أبى ؟

ذهب الملك ،

لكن لاسم أى حق أن يتناقله أبته عنه

فكيف يموت أبى مرتين ؟

أيتها الأنجم المتلونة الوجه :

قولى له :

قد سلّيت حَيَاتين ..

أُبتق حياه ..

وَرَدُّ حياه ..

خصومةٌ قلبى مع الله .

هذا الكمال الذى خلق الله هيأته ،

فكسًا العظم بالذبح ،

ها هو : جسمًا — يعود له — دون رأس ،

فهلّ تتقبل يوب. النبي ما شابه العيب ،

أم أن وجه العدالة :

أن يرجع الشلّو للأصل ،

أن يرجع البعد للقبيل ،

أن ينهض الجسد المتمزق مكمل الظل

حتى يعود إلى الله .. متحدًا فى بهاء ؟

(٣)

يجيئ أخى

هل عباءة الريح ؟

هل سيفه السرق ؟

هل يتمنطق فوق جوارى السحاب ؟

يجيئ أخى !

غافلًا عن كتاب المواريت

عن دمو الملكى ،

عن الصولجان الذى صار مقبضه العاج :

رأس غراب !

يجيئ أخى .

(كَانَ يعرفه القلب !)

أقذف تفاحة

يتصدى لها وهو يطحنها بالركاب !

(هى الخطأ البشرى الذى حرم النفس فردوسها

الأول المستطاب)

أتنى ، فأقذف تفاحة ..

تستقر على رأس حرتيه !

(أيها الوطن المستدير .. الذى تنقب الحرب عذرتيه

بالحراب)

.. وتفاحة تلتفها يده !

(هى جوهرة الملك ،

جوهرة العدل ،

جوهره الحب ..
فالحب أب !

... ..

قلوب ثلاثة شارة الزمن القادم المستجاب
قفوا يا شباب !

لمن جاء من رحم الغيب ،
تحاض بساقيه في بركة الدم ،
لم يتناثر عليه الرشاش ،
ولم تبد شائبة في الثياب !
قفوا للهلال الذي يستدير ..

ليصبح هالات نور على كل وجه وباب !
قفوا يا شباب !
كليب يعود ..

كعنقاء قد أحرقت ريشها
لتظلل الحقيقة أبهى ..

وترجع حلتها — في سنا الشمس .. أزهى ..
وتفرد أجنحة الغد ..
فوق مدائن تنهض من ذكريات الخراب !!

« أشارات تاريخية »

البسوس :

هي المرأة التي أثارت الفتنة بين قيس ، وأشعلت الحرب أربعين
سنة ، وأثارت بنى بكر على بنى تغلب ، وحملت اسمها الملحمة . وهو
كما تقول الرواية (شاعرة عمجوز من عجائب الزمان ، ذات مكر واحتيال
وخداع) . وكان لها أربعة أسماء (سعاد .. تاج بخت .. هند .
البسوس) وهي أخت الملك حسان اليماني الذي قتله الأمير كليب م
أجل أبنه عمه وخطيبته الجليلة .

كليب بن ربيعة :

اسمه وائل وكليب لقبه ، نشأ في حجر أبيه ، ودرب على
الحرب ، ثم تولى قيادة الجيش لبكر وتغلب زمنا .. فكان ليث الصدام
وأنفة الليالي كما تقول الرواية .

تليلة بنت مرة :

وقد اختصمت مع امها لانها أخت قاتل كليب .. حتى رحله
الجليلة مع قومها .

شاعره .. أبنه عم كليب وزوجته التي انجبت له سبعة بنات
ولد بعد موته هو (المجرس) البطل المنتقم لأبيه .

وبعد مقتل زوجها كليب على يد أخيها جساس خرجت من
نغلب وتنقلت مع بنى شيبان قومها مدة حروبهم حتى ماتت .

سامة :

كبرى بنات كليب .. تقول الرواية انها رفضت الدية في أي

انت تقول :

« أنا لا أصالح حتى يقوم والدي

ونسراه راكب يريد لقاءكم »

ساس بن صرة :

عندما أعلنته الإمامة وصية أبيها قال : انى لا اصالح الى الابد ما
دامت روحي في هذا الجسد .

ابن عم لكليب وقتله بعد ان نجحت البسوس (التى اقامت و
يافته) في أن تثير الفتن : بأن أمرت عبيدها أن يطلقوا ناقتها الجرباء
فى البستان المعروف بحى كليب . وتدمر الاشجار والاسوار ..
نى أمر كليب بذبح الناقة . ويقال أن جساسا هو آخر قتيل في
رب البسوس التى استمرت منذ مقتل كليب وحتى مصرع جساس
مين عاما .

لهل بن ربيعة :

هو سالم الملقب بالزير أو أبو ليلى المهلهل الكبير .. آخر
يب وبطل السيرة والملحمة .. يصفه الرواه : (بالامد الكرار والبطل
انغوار صاحب الاشعار البديعة والوقائع المهولة المريعة) .

« تذييل »

« حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسوس التي استمر أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة .

وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزا للمجد العربي القتيل في الارض العربية السليبة التي تريد أن تعود الى الحياة مرة أخرى ولا تترك سبيلا لعودتها أو بالاحرى لاعادتها الا بالدم .. وبالدم وحده ..

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفة ، استحضرت شخصيات الحرب وجعلت كلا منها يدلي شهادتها التاريخية حول رؤيتي الخاصة .. ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصيات شهادتها المختلفة عن شهادة الاخرى ..

لقد استحضرت الملك كليب نفسه في ساعاته الاخيرة ، وأدلت الإمامة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها وكذلك فعل المهلهل الذي قاد الحرب انتقاما له .. وقدمت شهادة جساس مع تبهيراته لجريمتة ثم

شهادة جلييلة بنت مرة الممزقة بين البطلين .. « زوجها وأخوها » ثم أتيت بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دورا معلقا على الاحداث ..

أمل دنقل

عن مجلة آفاق عربية ١٩٨١

والديوان بصورته. الأخيرة هذه .. يحتوى على شهادتين قصيدتين. فقط هما : « الوصايا العشر ، وأقوال الإمامة ومراثيها » . كتبت قصائده ما بين (١٩٧٦ — ١٩٧٧) .

أما الشهادات (القصائد) الأخرى التى تحدث عنها أمل قد ظلت تتبدل وتتغير يوما بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقنع الشاعر باكتمالها النهاى ، ذلك على الرغم من اكتمال اجزاء كثيرة منها في ذاكرة الشاعر (الذى لا يسجل قصيدته على الورق إلا بعد أن يقنع باكتمالها الأخير)

ومات أمل قبل أن تكتمل شهاداته (قصائده) في ذنب المبدع ، وقبل أن يقنع ذهنه المبدع بصيغه ابداعية أخيرة ، وقبل أن ينتقم الزهر لمقتل أخيه كليب ، وقبل أن تضع الحروب اوزارها ، لتظل الرؤيا باحثة عن حل يكتمل في الابداع ، أو بتحقيق في الواقع .

* * *

أوراق الغرفة [٨]

لديني بوقه مكتوبه
 رقيقه عيس ١
 د. ا. د.

عم صباحاً أيها الصقر المَجْنَحُ
 عم صباحا .
 سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .
 فمتى يقبل موتى ..
 قبل أن أصبح — مثل الصقر —
 صقراً مستباحاً ؟!

بكائية لصقر فريش

الورقة الأخيرة الجنونى

سورة

هل أنا كنت طفلاً ..
أم ان الذى كان طفلاً سوى ؟
هذه الصور العائلية ..
كان أبى جالساً ، وأنا واقف .. تتدلى يداى !

رفسة من قَرس
فَرَكْتُ فى جيبى شجاً ، وعَلِمْتُ القلب أن يحترس .
أتذكر ...
سال دمي
أتذكر ..
ملت أبى نازفاً .

أتذكر ..
هذا الطريق إلى قبره ..
أتذكر ..
أختى الصغيرة ذات الريمين .
لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها
المنطمس

أو كان الصبى الصغير أنا ؟
أم ترى كان غيرى ؟
أحذف ..
لكن تلك الملامح ذات العنوبة .
لا تنتمى الآن لى .
والعيون التى تترقق بالطيبة
الآن لا تنتمى لى .
صرْتُ عنى غريباً .
ولم يتبق من السنوات الغريبة
إلا صدى اسمى ..

وأسماء من أذكّزهم — فجأة —
بين أعمدة النعْي ،
أولئك الغامضون : رفاق صباي .
يقبلون من الصمت وجهاً فوجها ..
فيجتمع الشمل كل صباح ،
لكي نأتس .

وجه

كان يسكن قلبي
وأسكن غرفته
نقاسم نصف السرير ،
ونصف الرغبة ،
ونصف اللقافة ،
والكتب المستعارة .

هجرته حبيبته في الصباح فمزق شريانه في المساء ،
ولكنه بعد يومين مزق صورتها ..
واندهش .

لم يتخدش .
واستراح من الحرب ..
عاد ليسكن بيتاً جديداً
ويكسب قوتاً جديداً
يدخن علبة تبغ بكاملها
ويجادل أصحابه حول أبخرة الشاي ..
لكنه لا يطيل الزيارة :
عندما احتقنت لوزتاه ، استشار الطبيب ،
وفي غرفة العمليات ..
لم يصطحب أحداً غير نحف ..
وأنبوبة لقياس الحرارة ،
فجأة مات !
لم يحتمل قلبه سريان المخدر ،
وانسحبت من على وجه سنوات العذابات ،

عاد كما كان طفلاً ..

يشاركني في سريري
وفي كسرة الخبز ، والتبغ ،
لكنه لا يشاركني .. في المرارة !

وجه

من أقاصي الجنوب أتى ، عاملاً
للبناء
كان يصعد « سقالة » ويغنى لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مقهى قريب ،
وبالأعين الشاردة ..
كنت أقرأ نصف الصحيفة ،
والنصف أخفى به وسخ المائدة .
لم أجد غير عيين لا تبصران ..
وخيط الدماء .
وانحنيت عليه .. أجس يده
قال آخر : لا فائدة

صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا .. في العراء

وجه

ليت « أسماء » تعرف أن أباه صعد
لم يمّث
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أبد !
وكان الشراب نفذ !
وكان النبات الجميلات يمشين فوق الزبد !
عاش منتصباً ، بينا
ينحنى القلب يبحث عما فقد .
ليت « أسماء » تعرف أن أباه الذي ..
حفظ الحب والأصدقاء تصاويره :.
وهو يضحك ،

وهو يفكر ،

وهو يفتش عما يقيم الأود .

ليت « أسماء » تعرف أن النبات الجميلات ..

تجبانه بين أوراقهن ،

وعلمنه أن يسير ..

ولا يلتقى بأحد !

مرآة

— هل تريد قليلاً من البحر ؟

— إن الجنوى لا يطعمن إلى اثنين يا سيدى :

البحر — والمرأة الكاذبة .

— سوف آتيك بالرمل منه

... وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ،

فلم أستبته

— هل تريد قليلاً من الخمر ؟

— إن الجنوى يا سيدى يتهبب شيئين :

قنينة الخمر — والآلة الحاسبة .

— سوف آتيك بالثلج منه .

وتلاشى به الظل شيئاً فشيئاً ...

فلم أستبته .

بعدها لم أجذ صاحبي

لم يعد واحد منهما لى بشئ

— هل تريد قليلاً من الصبر ؟

— لا ..

فالجنوى يا سيدى يشتهى أن يكون الذى لم يكن

يشتهى أن يلاقى اثنين :

الحقيقة — والأوجة الغائبة .

ضد من

يَأْتِي المَعْرُونُ مَتَشَحِّينَ ..

بِشَارَاتِ لَوْنِ الحَدَادِ ؟

هَلْ لِأَنَّ السَّوَادَ ..

هُوَ لَوْنُ النِّجَاحِ مِنَ المَوْتِ ،

لَوْنُ التَّحِيمةِ ضِدَّ .. الزَّمَنِ ،

ضِدَّ مَنْ .. ؟

وَمَتَى القَلْبُ — فِي الحَقِّقَانِ — اطمَأَنَّ !؟

بَيْنَ لَوْنَيْنِ : أَسْتَقْبِلُ الأَصْدِقَاءَ ..

الَّذِينَ يَرُونَ سِرِّيَّ قَبْرًا

وَحَيَاتِي ... دَهْرًا

وَأَرَى فِي العَيُونِ العميقةِ

لَوْنَ الحَقِيقَةِ

لَوْنَ تَرَابِ الوَطَنِ !

فِي غُرْفِ العملياتِ ،

كَانَ نِقَابُ الأَطَاءِ أبيضَ ،

لَوْنُ المعاطِفِ أبيضَ ،

تَاجُ الحَكِيمَاتِ أبيضَ ، أُرْدِيَةُ الرَّاهِبَاتِ ،

المَلَأَاتُ ،

لَوْنُ الأَسْرَةِ ، أُرْبُطَةُ الشَّاشِ والقَطَنِ ،

قِرْصُ المَنُومِ ، أُنْبُوبَةُ المَصَلِ ،

كُوبُ اللَّبَنِ .

كُلُّ هَذَا يَشِيْعُ بِقَلْبِي الوَهْنَ .

كُلُّ هَذَا البَيَاضُ يَذْكُرُنِي بالكُفْرِ !

فَلَمَّاذَا إِذَا مِتُّ ..

زهور

وسلايل من الورد ،
ألمحها بين إغفاء وإفاقة
وعلى كل باقة
اسم حاملها في بطاقة
... ..
تحدث لي الزهراء الجميلة
أن أعينها اتسعت — دهشة —
لحظة القطيف ،
لحظة القصيف ،
لحظة إعدامها في الخميعة !
تحدث لي ..
أنها سقطت من على عرشها في البساتين

ثم أفاقت على عريضها في زجاج الدكاكين ، أو بين أيدي
المنادين ،
حتى اشترتها اليد المتفضلة العابرة
تحدث لي ..
كيف جاءت الي ..
(وأحزانها الملكية ترفع أعناقها الخضر)
كي تمنى لي العمر !
وهي تجود بأنفاسها الآخرة !!

كل باقة ..
بين إغماء وإفاقة
تتنفس مثلي — بالكاد — ثانية .. ثانية
وعلى صدرها حملت — راضية ..
اسم قاتلها في بطاقة !

السريـر

أوهمنى بأن السريـر سريـرى !
أن قارب « رغ »

سوف — يحملنى عبر نهر الأفاعى
لأولـد فى الصبح ثانية .. إن سَطَعَ

(فوق الورق المصقول
وضعوا رقمى دون اسم
وضعوا تذكرة الدم
واسم المرض المجهول)

أوهمنى فصَدَّقْتُ ..

(هذا السريـر

ظننى — مثله — فاقد الروح

فالتصقت بى أضلاعه

والجمادُ يضمُّ الجمادَ ليحييه من مواجهة الناس !)

صيرتُ أنا والسريـر ..

جسداً واحداً .. فى انتظارِ المصير !

(طولَ الليالِ الألف

والأذرعُ المعدن

تلتف وتتمكّن

فى جسدى حتى النزف

صيرتُ أقدّرُ أن أتقلبَ فى نومى واضطجاعى

أن أحرّك نحو الطعام ذراعى ..

واستبان السريـر يخداعى ..

فارتعش !

وتداخل — كالتنفيد الحجرى — على صمته وانكماش

قلتُ : يا سيدى .. لِمَ جافيتنى ؟

قال : ها أنت كلمتى ..

وأنا لا أجب الذين يمرون فوق

سوى بالانين

فالأسرة لا تستريح إلى جسد دون آخر
الأسرة دائمة

والذين ينامون سرعان ما ينزلون

نحو نهر الحياة لكي يسبحوا

أو يغوصوا بنهر السكون !

في الميادين يجلس ،

يطلق — كالطفل — نبلته بالخصي ..

فيصطلي بها من يصيب من السابلة !

يتوجه للبحر ،

في ساعة المد :

يطرح في الماء سنارة الصيد ،

ثم يعود ..

ليكتب أسماء من علقوا

في أحابله القاتلة !

لا يحبُّ البساتين ..

لعبة النهاية

لكنه يتسلل من سورها المتآكل ،
يصنع تاجاً :

جواهره .. الثمر المتعفن ،
إكليله .. الورق المتفضن ،
يلبسه فوق طوق الزهور

الخريفية
الذابلة !

يتحول : أفعى .. ونايا
فيرى في المرايا ::

جسدين وقلبين متحدثين ،
(تغيُّمُ الزوايا
وتحكى العيون حكايا)
فينسل بينهما ..

مثل خيط من العرق المتفصِّد ،
يلعق دماء مسامهما ،
يفرسُ النَّابَ في موضع القلب :
تسقط رأسُ الفتى في القطاء ،

وتبقى الفتاة ..

محدقة

ذاهلة .. !

أمس : فاجأته واقفا بجوار سريري
ممسكاً — بيد — كوب ماء
ويد — بحبوب الدواء
فتناولتها .. !
كان مبتسماً
وأنا كنت مستسلماً
لمصيري !!

عن لذة الاغتراب
وعبودية الأغصن الثابتة .

(٢)

أخذوا أصدقائي للسجن ،
لكنهم في ليالى الحنين
يقبلون ، لنشرب كأسين ..
في البار ذى الردهة الخالية
فاذا دقت الساعة الثانية

صفق الخدم المتعبون
فاختفى أصدقاؤى وهم يضحكون
— نلتقى ثانية
— نلتقى الليلة التالية ..

... ..

بعدها خرجوا : انقطع الخيط ما بيننا
واستطال السكون
كان ما بينهم : ذكريات .. وخبز مرير
ومسحة حزن

ديسمبر

(١)

تساقط أوراق « ديسمبر » الباهتة !

... ..

هو عَمَرٌ من الريح
(هذا الذى بين أن تترك الورقة الغصن
حتى تلامس أطرافها حافة الأرض)
عمر من الاضطراب
فافتش جوارى — أيتها الباحثات عن الذات —
وجه التراب
وتعالين .. نرو الأفاصيص ..
عن راحة الروح

قلت : ها أصبحوا ورقا ثابتا في شجرة سجن
فمتى يفلتون
من الزمن المتوقف في ردهات الجنون ؟

(٣)

هاهو الرخُّ ذو المخليين يحومُ ..
ليحمل جثة ديسمير الساخنة
ها هو الرخ يهبط ..
والسحب تلقى على الشمس طرحتها الداكنة

قالت الراهبات :

(سلامٌ على الأرض !)

يا أيها الرخُّ : كم جثة حملتها مخالبك الأبدية خلف الجبل ؟
ما الذى نحن نعطيك — يا أيها الرخ — منذ الأزل ؟

ما الذى نحن نعطيك ؟

لا شيء إلا تواييت ، لا شيء ،
إلا المبادلة الخائبة .

جثث تتراكم في الضفة الساكنة

بينما نحن — نمتلك النور
عشب البحيرات — صوت الكناريا —
مجالسة الورد — أنشودة المهدي — رقص
النبات الصغيرة في العرس — تمتمة
القط في الصلوات — خمر الينابيع —
هذا التساؤل عن لون عيني عاشقتين ،
كنافذتين على البحر — طعم القبل ؛
بينما أنت من ظلمة العدم الآسنة
تتلقى النفايات تلو النفايات دون كلل
عاجزا عن ملازمة الفرح العذب ،
عن أن تبل جناحك في مطر القلب
أن تتطهر بالركة الفاتنة !!

(٤)

قلت للورق المتساقط من ذكريات الشجر
إننى أترك الآن — مثلك — بيتي القديم
حيث تلقى بى الريح أرسو —

وليس معي غيرُ :

حزنى المقيم
وجوازُ السفر !

الطيور

(١)

الطيورُ مشرّدةٌ في السمواتِ ،
ليس لها أن تحط على الأرض ،
ليس لها غير أن تتقاذفها فلوأت الرياح !
ربما تنزلُ ...
كفى تستريح دقائق ..
فوق النخيل — النجيل — التماثيل —
أعمدة الكهرباء —
حواف الشبايك والمشربيات
والأسطح الخرسانية .
(اهدأ ، ليلتقط القلبُ تنبئةً ،

والفمُ العذبُ تغريدةً ،

والقط الرزق ..)

سرعان ما تتفرغ ..

من نقلة الرجل ،

من نبلة الطفل ،

من ميله الظل عبر الحوائط ،

من حصوات الصباح !

...

الطيورُ معلقةٌ في السمواتِ

ما بين أنسجة العنكبوت الفضائي : للريح

مرشوقةٌ في امتداد السهام المضيئة

للشمس ،

(رفرف ..

فليس أمامك —

والبشر المستببحون والمستباحون : صاحون —

ليس أمامك غير الفراز ..

الفراز الذي يتجدد .. كل صباح !)

(٢)

والطيورُ التي أقعدتها مخالطة الناس ،

مرّت طمانينة العيش فوق مناميرها ..

فانتحّت ،

وبأعينها .. فارتحّت ،

وارتضت أن تقاىء حول الطعام المتأخ

ما الذي يبقى لها .. غير سكينه الذبيح ،

غير انتظار النهاية .

إن اليد الآدمية .. واهبة القمح

تعرف كيف تسن السلاح !

(٣)

الطيور .. الطيور

تحتوى الأرض جثماتها .. في السقوط الأخير !

والطيور التي لا تطير ..

ضوت الريش ، واستسلمت

هل تُرى علمت

أن عمر الجناح قصير .. قصير !

الجنأُ حياة
والجنأُ ردى .
والجنأُ نأة ..
والجنأُ .. سدى !

الآبول

(١)

الفتوحات — فى الأرض — مكتوبة بدماء الآبول .
وآءوء المالك
رسمتها السناىك .
والركابان : مزان عءل ىمل مع السلف ..
آىث ىمل !

° ° °

أركضى أو قفى الآن .. أئها الآل :
لسى المغىرات صُأا
ولا العاءيات — كأ قىل — صُأا

ولا خضرة في طريقك تمحي
ولا طفل أضحي

إذا ما مررت به .. يتنحي ؛

وها هي كوكبة الحرس الملكي ..

تجاهد أن تبعث الروح في جسد الذكريات

بدق الطبول .

اركض كالسلاحف

نحو زوايا المتاحف ..

صيرى تمائيل من حجر في الميادين

صيرى أراجيح من خشب للصغار — الرياحين ،

صيرى فوارس حلوى بموسمك النبوي ،

وللصبية الفقراء : حصاناً من الطين

صيرى رسوماً .. ووهماً

تجف الخطوط به

مثلما جف — في رثيك — الصهيل !

(٢)

كانت الخيل — في البدء — كالناس

برية تتراكم عبر السهول

كانت الخيل كالناس في البدء ...

تمتلك الشمس والعشب

والملكوت الظليل

ظهرها .. لم يُوطأ لكى يركب القادة الفاتحون ،

ولم يكن الجسد الحر تحت سياط المروض

والفم لم يمتثل للجام ،

ولم يكن الزاد .. بالكاد ،

لم تكن الساق مشكولة ،

والخوافر لم يكُ يتقلها السنبك المعدني الصقيل .

كانت الخيل برية

تتنفس حرية

مثلما يتنفسها الناس

وفي ذلك الزمن الذهبي النبيل

° ° °

أركضى... أو قفى

زمن يتقاطع

واختبرت أن تذهبي في الطريق الذى يتراجع

تنحدر الشمس

ينحدر الأمس

تنحدر الطرق الجبلية للهوة اللانهائية :

الشهب المتفحمة

الذكريات التى أشهرت شوكرها كالفنفيذ

والذكريات التى سلخ الخوف بشرتها .

كل نهر يحاول أن يلمس القاع

كل الينابيع إن لمست جدولاً من جداولها

تختفى

وهى .. لا تكتفى !

فأركضى أو قفى

كل درب يقودك من مستحيل إلى مستحيل !

(٣)

الخيوّل بساطاً على الريح ..

سار — على متنه — الناس للناس عبر المكان

والخيوّل جداراً به انقسم

الناس صنفين :

صاروا مشاة .. وركبان

والخيوّل التى انحدرت نحو هوة نسيانها

حملت معها جيل فرسانها

تركت خلفها : دمعة الندم الأبدى

وأشباح خيل

وأشباح فرسان

ومشاة يسرون — حتى النهاية — تحت ظلال الهوان .

أركضى للفرار

وأركضى أو قفى في طريق الفرار .

تساوى محصلة الركض والرفض في الأرض ،

ماذا تبقى لك الآن ؟

ماذا ؟

سوى عرق يتصبّب من تعب

يستحيل دنائير من ذهب

في جيوب هُوّة سلااتك العربية

في حلبات المراهنة الدائرية

في نزهة المركبات السياحية المشتهاة

وفي المتعة المشتراة

وفي المرأة الأجنبية تعلوك تحت

ظلال أنى الهول ..

(هذا الذى كسرت انفه

لعنة الانتظار الطويل)

استدارت — إلى الغرب — مزولة الوقت

صارت الخيل ناساً تسير إلى هُوّة الصمت

بينما الناسُ خيلٌ تسير إلى هوة الموت !

مقابلة خاصة مع ابن نوح

جاء طوفانُ نوح !

... ..

المدينةُ تفرّق شيئاً .. فشيئاً

تفرّق العصافيرُ ،

والماء يعلو .

على درجات البيوت — الحوانيت — مبنى البريد — البيت

التمائيل (أجدادنا الخالدين) — المعابد — أجولة القمح

مستشفيات الولادة — بوابة السجن — دار الولاية —

أروقة الثكنات الحصينة .

العصافيرُ تجلو ..

رويداً ..

رويداً ..

ويطفو الإوزُ على الماء ،

يطفو الأثاث ..

ولعبة طفل ..

وشهقة أم حزينة

الصبايا يلوحن فوق السطوح !

ناء طوفان نوح .

ا هم « الحكماء » يفرّون نحو السفينة

المغنون — سائس خيل الأمير — المرابون —

قاضي القضاة

.. ومملوكه ! —

عامل السيف — راقصة المعبد

(ابتهجت عندما انتشلت شعرها المستعار)

— جباة الضرائب — مستوردو شحنات السلاح —

شقيق الأميرة في سمته الأثوى الصبوح !

فاء طوفان نوح .

يا هم الجبناء يفرّون نحو السفينة .

بما كنت ..

كان شباب المدينة

يلجمون جواد المياح الجموح

ينقلون المياه على الكتفين .

ويستبقون الزمن

يبتنون سدود الحجارة

عَلَهُمْ ينقلون مهاذ الصبا والحضارة

عَلَهُمْ ينقلون .. الوطن !

.. صاح في سيد الفلك — قبل حلول

السكينة :

« انج من بلد .. لم تعد فيه روح ! »

قلت :

طوبى لمن طعموا خبزه ..

في الزمان الحسن

وأداروا له الظهر

يوم الحزن !

ولنا المجد — نحن الذين وقفنا

(وقد طمس الله اسماءنا !)

نتحدى الدمار ..
ونأوى إلى جيل لا يموت

(يسمونه الشعب !)

نأى الفرار ..
ونأى النزوح !

... ..

... ..

... ..

كان قلبى الذى نسجته الجروح
كان قلبى الذى لعنته الشروح
يرقد — الآن — فوق بقايا المدينة

وردة من عطن

هادئا ..

بعد أن قال « لا » للسفينة

.. وأحب الوطن !

خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين

ها أنت تسترخى أخيرا ..

فوداعاً ..

يا صلاح الدين .

يا أيها الطبل البدائي الذى تراقص الموق

على إيقاعه المجنون .

يا قارب الفلين

للغرب الغرق الذين شتتهم سفن القراصنة

وأدركتهم لعنة الفراعنة .

وسنة .. بعد سنة ..

صارت لهم « حطين » ..

تميمة الطفل ، واكسير الغد العنيد

(جبل التوباد حيّاك الحيا)
(وسقى الله ثرانا الأجنبي !)

مَرَّتْ خيولُ التُّركِ
مَرَّتْ خيولُ الشُّركِ
مَرَّتْ خيولُ الملك — النِّسر ،
مَرَّتْ خيولُ التترِ الباقين
ونحن — جيلا بعد جيل — في ميادين المراهنة
نموت تحت الأحصنة !
وأنت في المذباع ، في جرائد التهوين
تستوقف الفارين
تخطب فيهم صائحا : « حطين » ..
وترتدى العقال تارة ،
وترتدى ملابس الفدائيين
وتشربُ الشاي مع الجنودِ
في المعسكرات الخشنة

وترفع الراية ،

حتى تسترد المدنَ المرتهنة
وتطلقُ النارَ على جوادك المسكين
حتى سقطت — أيها الزعيم
واغتالتك أيدي الكهنة !

(وطني لو شُغِلْتُ بالخلدِ عنه ..)
(نازعتني — لمجلس الأمن — نفسي !)

ثم يا صلاح الدين
ثم .. تتدلى فوق قبرك الورود ..
كالمظليين !
ونحن ساهرون في نافذة الحنين
نُقشِرُ التفاح بالسكين
ونسأل الله « القروض الحسنة » !
فاتحة :
أمين .

تصّر الریح ؛ وأضلّأُك كالروض المصنوخ
تنشئ للذغة الشمسي التي تنسج للدفع وشاحا !

أنت ذا باقٍ على الرايات مصلوبا .. مباحا

— « اسقني .. »

لا يرفع الجند سوى كوبٍ دم .. مازال يسفخ !

— « اسقني .. »

— هاك الشراب النبوي ..

أشربة عذبا وقراحا

مثلما يشربه الباكون ..

والماشون في أنشودة الفقر المسلخ !

— « اسقني .. »

لا يرفع الجند سوى كوبٍ دم مازال يسفخ !

بيننا « السادة » في بوابة الصمت المملح

يتلقون الرياحا

ليلفوها بأطراف العباءات ..

يدقوا في ذراعيها المسامير ..

بكائية لصقر قريش

عم صباحاً .. أيها الصقر المجنح

عم صباحا ..

هل ترقبت كثيرا أن ترى الشمس

التي تغسل في ماء البحيرات الجراحا

ثم تلهو بكرات الخليج ،

تستلقى على التربة ،

تستلقي .. وتنفخ !

هل ترقبت كثيرا أن ترى الشمس .. لتفرخ

وتسد الأفق للشرق جناحا ؟

أنت ذا باقٍ على الرايات .. مصلوبا .. مباحا

وتبقى أنت

(ما بين خيوط الوشي)

زرأ ذهبياً

يتأرجح !

وقف « الأغراب » في بوابة الصميت المملح

يشهرون الصلَف الأسود في الوجه سلاحا

ينقلون الأرض : أكياساً من الرمل .

وأكداساً من الظل

على ظهر الجواد العربي المترنح !

ينقلون الأرض ..

نحو الناقلات الراسيات — الآن — في البحر

التي تنوى الرواحا

دون أن تطلق في رأس الحصان

طلقة الرحمة ،

أو تمنحه بعض امتنان !

عِمْ صباحاً أيها الصقر المَجَنِّح

عِمْ صباحاً .

سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي .

فمعي يقبل موتى ..

قبل أن أصبح — مثل الصقر —

صقراً مستباحاً !؟

قالت امرأة في المدينة

(١)

سيف جدى على سائط البيت .. ييكى :

وصورته فى ثياب الركوب !

(٢)

قالت امرأة فى المدينة

من ذلك الأموى الذى يتباكى على دم عثمان !

من قال إن الخيانة تنجب غير الخيانة ؟

كونوا له يا رجال ..

أم تحبون أن يتفأ أطفالكم تحت

سيف ابن هند ؟

... ..

ربما ردت الريح — سيدنى — نصف رد

ضاع .. وابتلعه الرمال !

نحن جيل الحروب ..

نحن جيل السباحة فى الدم ..

ألقت بنا السفن الورقية فوق ثلوج العدم

(قبضات القلوب —

وحدها — حطمتها .. ومازال فيها الأسى والندوب ..)

نحن جيل الألم

لم تر القدس إلا تصاوير

لم نتكلم سوى لغة العرب الفاتحين

لم نتسلم سوى راية العرب النازحين ،

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

مفاتيح باب فلسطين

فاشهد لنا يا قلم

أننا لم ننم

أننا لم نقف بين « لا » و « نعم »

ما أقل الحروف التى يتألف منها اسمُ ما ضاعَ من وطني ..
واسمُ من مات من أجله

من أنج أو حبيب !
هل عرفنا كتابةً أسمائنا بالمدادِ
على كتبِ الدرس ؟
ها قد عرفنا كتابة أسمائنا

بالأظافرِ في غرفِ الحبسِ
أو بالدماء على جيفة الرمل والشمس ،
أو بالسواد على صفحات الجرائد قبل الأخيرة .
أو بمحدد الأرامل في ردهاتِ (المعاشات) ،
أو بالغبار الذى يتوالى على الصورِ
المنزلية للشهداء
الغبار الذى يتوالى على أوجه الشهداء ..
إلى أن .. تغيب !!
قالت امرأة في المدينة :

من يجرؤ الآن أن يخفضَ العلمَ القرمزى
الذى رفعته الجماجمُ ،
أو يبيعَ رغيفَ الدم الساخن المتخثر فوق الرمال .

أو يمدُّ يداً للعظام التى ما استكانت
(وكانت رجال ..)

كى تكونَ قوائمٌ مائدةٌ للتواقيع
أو قلماً
أو عصا في المراسم ؟

... ..

لم يجيبها أحد ..
غيرُ سيفٍ قديم ..
وصورة جد !

إلى محمود حسن إسماعيل
في ذكره

واحد من جنودك يا سيدى .
قطعوا يوم مؤتة منى اليمين
فاحتضنت لواءك بالمرفقين
واحتسبت لوجهك مستشهدى !

واحد من جنودك — يا أيها الشعر —
هل يصل الصوت ؟
(والريح مشدودة بالمسامير !)
هل يصل الصوت ؟
(والعصافير مرصودة بالنواشير !)

هل يصل الصوت ؟
أم يصل الموت ؟
قل لى ، فإنى أناديك
من زمن الشعراء — الأناشيد
للشعراء — السجاجيد
من زمن الشعراء — المصاليك
للشعراء — المماليك .
أرسم دائرة بالطباشير
لا أتجاوزها !
كيف لى ؟ وأنا أتمزق ما بين رُخين !
والقدمان معلقتان بفخين !
أعيانى الكُرُّ والفُرُّ
واجتازنى الخير والشرُّ
أيسر . تيسرُ ، حتى تعسرتُ ، حتى تعثرتُ .
أيمين . تيمنتُ ، حتى تيممتُ ، حتى تيمنتُ .
أين المقر ؟ وأين المقر ؟
للخفافيش أسماؤها التى تتسمى بها !
فلمن تتسمى إذا انتسب النور !

والنور لا ينتهي الآن للشمس

فالشمس هالائها تتحلّق فوق العقالات .

هل طلع البدرُ من يرب أم من الأحمدى ؟
وبانت سعادُ ..

تراها تبينُ من البردة النبوية
أم من قلنسوة الكاهنين الحَزْر ؟
واحدٌ من جنودك يا سيدي

ألف بيتٍ وبيت ..

واحتوتك الكويث !

فعرفت بموتك أين غدى !

واحدٌ من جنودك — يا أيها الشعر — !

كلُّ الأحبة يرتحلون

فترحل شيئاً فشيئاً من العين ألفةً هذا الوطن

تغربُ في الأرض . نصبحُ أغربةً في التآيين ننعى

زهور البساتين

لا تزقف في صحيف اليوم إلا أمام العناوين
مرؤها دون أن يطرف الجفن .

سرعان ما نفتح الصفحات قبيل الأخيرة ،

ندخلُ فيها نجالسُ أحرفها ،

فتعود لنا ألفةُ الأصدقاء ، وذكرى الوجوه

تعود لنا الحيوية ، والدهشة العَرَضِيَّة

واللون ، والأمن ، والحزن .

هذا هو العالم المتبقى لنا : إنه الصمتُ

والذكريات ، السوادُ هو الأهل والبيت .

إن البياضَ الوحيدَ الذى نرتجيه

البياضَ الوحيدَ الذى نتوحدُ فيه :

بياضُ الكفن !

واحدٌ من جنودك يا سيدي

خبزه نُخبزُ ضيق

ماؤه بل ريق

والمماتُ بعينيه كالملوك

واحدٌ من جنودك يا سيدي

يركع الآن ينشدُ جوهرةً تنخبأ في الوحل

أو قمرأً في البحيرات ،

أو فرساً نافراً في الغمام .

ها هو الآن ، لا نهر يغسل فيه الجروح
وينهل من مائه شربة تمسك الروح
لا منزل لا مقام
فعلى الراحلين السلام
والسلام على من أقام .

« تذييل »

يضم هذا الديوان القصائد الأخوية التي كتبها أمل دنقل (١٩٤٠ - ١٩٨٣) طوال فترة مرضه الذي صارعه أربع سنوات . من أوائل سبتمبر ١٩٧٩ إلى أواخر مايو ١٩٨٣ . ولم نجد لهذا الديوان عنواناً أكثر صدقاً من « أوراق الغرفة (٨) » ، فالديوان ينطوي على أوراق أمل الأخوية ، والغرفة رقم (٨) هي آخر الغرف التي قاض فيها أمل مرضه ، قرابة عام ونصف ، في الدور السابع من « المعهد القومي للأكورام » ، من فبراير ١٩٨٢ إلى يوم رحيله الساعة الرابعة من صباح السبت ، الحادى والعشرين من مايو ١٩٨٣ .

و « الجنوى » هي الورقة الأولى في هذا الديوان ، ولكنها الورقة الأخيرة في رحلة إبداع أمل دنقل ، فقد كتبت في فبراير ١٩٨٣ ، وتنطوي على رؤيا النهاية التي اكتملت دائرياً ، بعد تأملات الغرفة (٨) عام ١٩٨٢ ، تلك التأملات التي صاغتها قصائد : « ضد من » ، و « زهور » (وكانت الكتابة النهائية لكتبتجها في مايو ١٩٨٢) و « لمبة النهاية » (الكتابة النهائية في يونيو ١٩٨٢) و « السرير » (نوفمبر ١٩٨٢)

قصائد متفرقة

وهناك قصائد أخرى — في هذا الديوان تنتمي إلى تاريخ مقارب ، منها « الطيور » و « الخيول » ، وقد كتبت كلتاها عام ١٩٨١ ، ولكن أمل ظل يغير ويبدل فيهما — كمادته في الحرص على أقصى درجات الدقة اللغوية ، وأقصى درجات التجانس البنائي — إلى أن أستقر على الصياغة الأخيرة للطيور في أكتوبر من العام الماضي ، والصياغة الأخيرة للخيول في أواخر ديسمبر من العام نفسه . وعلى العكس من هاتين القصيدتين ، مازالت قصيدته في الذكرى الرابعة لمحمود حسن إسماعيل — إبريل ١٩٨١ — تنتظر اللمسة الأخيرة ، ولم تملك سوى أن تستخلصها من آخر مسوداتها .

أما بقية قصائد هذا الديوان فترجع إلى فترة زمنية تمتد من عام ١٩٧٥ . لا تمثل هذه القصائد كل ماكتبه أمل دنقل في الرحلة السابقة على مرضه ، ولكنها كثر ماوجدته السيدة زوجته — عيلة الرويني — من قصائد هذه المرحلة إنساقاً مع الدلالات الأساسية التي ينطوي عليها هذا الديوان .

إلى صديقة دمشقية

إذا سباك فائد التتار
وصرت محظية ...
فشد شعرا منك في سعار
وافترض عذرية ..
واغرورقت عيونك الزرق السماوية
بدمعة كالصيف ، ماسية
وغبت في الأسوار ؟
فمن ترى يفتح عين الليل بابتسامة النهار ؟

• • •

مازلت رغم الصمت والحصار
أذكر عينيك المضيئتين من خلف الحمار
وبسمة الثغر الطفولية ..
أذكر امسياتنا القصار
ورحلة السفح الصباحية
حين التقينا نضرب الأشجار
ونقذف الأحجار
في مساء فسقيه !

• • •

قلت — ونحن نسدل الأستار
في شرفة البيت الأمامية :
لا تبتعد عني
أنظر الى عيني
هل تستحق دمعاً من أدمع الحزن ؟

ولم أجبك ، فالمباخر الشامية
والحب والتذكر
طفت على الحنى
لم تبق منى وهم ، أغنيه !
وقلت ، والصمت العميق تدقه الأمطار
على الشوارع الجليدية :
عدتُ اليك .. بعد طول التيه في البحار
أدفن حزني في عبير الخصلات الكستنائية
أسير في جناتك الخضراء الربيعية
أبلُ ريق الشوق من غدرانها ،
أغسل عن وجهي الغبار !!
نافحتُ عنك قائد التار
رشقتُ في جواده .. مدية
لكنتي خشيت أن تمسك الأخطار
حين استحالت في الدجى الرؤية
لذا استطاع في سحابة من الغبار
أن يخطف العنقاء .. تاركا على يدي الإزار

كالوهم ، كالفريه !

... ..

(.. مابالنا نستذكر الماضي ، دعى الاظفار ..

لا تنبش الموقى ، تعرى حرمة الأسرار ..)

• • •

ياكم تمت زمرة الأشرار

لو مزقوا تنورة فى الخصر .. بنية

لو علموك العزف فى القيثارة

لتطريهم كل أسـ

حتى اذا انقضت أغانيك البمشقية

تناهبوك ؛ القادة الأقزام .. والإنصار

ثم رموك للجنود الانكشارية

يقضون من شبابك الاوطار !

• • •

الآن .. مهما يقرع الاعصار

نوافذ البيت الزجاجية ،

لن ينطفئ فى الموقد المكدود رقص النار

تستدفئ الأيدى على وهج العناق الحار

بكى تولد الشمس التى نختار

فى وحشة الليل الشتائية !

أيلول ١٩٦٦

وظَلَّتْ الأيْدَى تراوح المِلاعق الصغيرة
وظَلَّتْ الشفاه تَلْعَقُ الدماء !

عشاء

قصدتهم في موعد العشاء
تطلّعوا لي برهة ،
ولم يرد واحد منهم تحية المساء !
... وعادت الأيْدَى تراوح المِلاعق الصغيرة
في طبق الحساء
... ..
نظرت في الوعاء :
هتفت : « ويحكم .. دمي
هذا دمي .. فانتبهوا »
.. لم يأبهوا !

لكننى ..

حين استقرت عينه على :

أدرت رأسى عنه ..

لم أقو على بريق عينيه الخفيف !

• • •

وحينا تحملنى وأصدقائى فى الطريق .. موجةً المرح
ونسترد روحنا فى الضحكات والفناء .

أبصره .. فى الجانب الآخر . يرنو مستخفاً ، باسمها
فإن تجاوزناه .. ألقى عقب سيجارته على الطوار
وداسه مغمفما ..

ثم اختفى ..

كأنه شبح !

وفى طريق العودة الليلى .. ألقاه

يخرج من جوف الظلام فجأة .. على غير انتظار .

كأن باباً — فى الشتاء — مغلقاً .. قد انفتح

كأن تياراً من الهواء

البطاقة السوداء

« إلى أنور المعداوى »

أراه من نوافذ المترو .. على محطات الوقوف

مستنداً بكتفه اليسرى إلى الجدار

يدير فى أصبعه سلسلة

فضية الأطار

يرقب — باسمها — تزامم المناكب القصير

تمسح عيناه زجاج النافذات الأبيض الشفيف ..

كأنه يبحث عن أحد .

كأنه يرقب من شرفته ،

هرولة السارين فى تساقط الأمطار والبرد !

يكنس من أعصاى الدفء .. وينساه !

.. يمر لى ؛ مدثرا بالمعطف الثقيل ،

هاديء الخطى ،

تلمع فى الظلام عيناه

يسأل — هامساً — عن الوقت بلا اكتراث
ويختفى ..

كأن احدى الشجرات احتضنته ..

صبرته بعض ظلها الكثيف !

وفى سويعات الضحى المشتمسة المعتدلة

حين تنقر العصافير ثمار التوت ،

مستدفئة من لذعة الخريف

أجلس فى المائدة المنعزلة ..

محدثا صديقتى ..

فى ذلك المقهى الريمى الأليف

— حيث يمر النيل راعيا مغنيا

ويرفع الصباح راية الفرح —

مرتشفين من عصير الكلمات .. والنار

معتنقين فى ضمائر الحروف ..

وفجأة ..

يسقط من يدى القدح !

ألحه مددا ساقيه فى المائدة المقابلة

يرمقنى من خلف نظارته السوداء خفية ،

نجباً بهيمته خلف صحيفة الصباح .. المهمة !

• • •

وعندما دخلت « باراداي » فى اليوم الاخير

رأيت .. يخرق المقاعد الملقاة .. والأضواء

ويفتح الصنبور

مشعث الشعر ، يضج قلبه بالرعب واللاهات

.. تساقطت — قبل اغتساله — على الحوض النقى بقعة

لكنه لم يكثرث !

رجل فى المرأة شعره الغزير

ثم دنا من جمع اصدقائى الصغير

قلبا عينين ثعلبيتين في الوجوه ، صامتا
وفجأة ..

ألقى الينا ورقة دون إكتراث
ودون أن يلتفتا ؛

مضى الى الخارج ..
تاركا على المنضدة الحبرى بطاقةته
.. كانت بطاقة سوداء ..

... ...

.. ومات في المساء !

لا أبكيه

مصر لا تبدأ من مصر القرية

انها تبدأ من أحجار طيبة ،

انها تبدأ منذ انطبعت

قدم الماء على الأرض الجديدة .

ثوبها الأخضر لا يلى ، اذا

خلعته .. رفعت الشمس ثقوبه .

انها ليست عصورا فهي الكل

في الواحد ، في الذات الرحبية .

أرضها لا تعرف الموت فما الموت

إلا عودة .. أخرى .. قرية .

تعب القطرة في النيل فمن

حولها الرقص وأعياد الخصوبة .

فاذا البحر طواها ، نفرت

وأسترد الماء في الوادى دروبه .

وأعاد الماء للنيل هروبه

وأسترد الماء في مصر العذوبة .

فسقى النيل به — ثانية —

ظماً البحر اذا ما مد كوبه !

هكذا شعبك يامصر^٤ له
 مات فيه الموت يوما .. فابتنى
 أبدا يبنى ويأق^٥ غيره
 فاذا راح أبتنى ثم ابتنى
 وكان الذل في الشعب ضريبة
 وكان الدم نيل آخر
 كل أبنائك يامصر مضوا
 الذي لم يقض في الحرب قضى
 والذي لم يقض في الفأس قضى
 اسمعى في الليل أنات الاسبى
 انها اسماء من ماتوا .. ولم
 سيعودون ، فلا تبكى ، فما
 أترى تبكين من مات .. لكى
 والذي مات لكى ينفس في
 ولكى يحتضن الطفل حقبة
 ولكى يهوى حجاب الخوف عن

ولكى يرفع سيف العدل في
 والذي لولاه مامرت لنا
 اترى تبكين يامصر ؟ أنا
 شرف الأبناء أن يمضى أب
 شرف للأب أن يمضى فلا
 انما يبكى ضعاف الناس ان

وجه ابناء الممالك الغريبة
 — في عبور النار للحرب — كنية
 لست أبكيه وان كنت ربيبه
 بعد أن قدم للمجد نصيبة
 تعترى أبنائه الروح الزغبية
 عجزوا ان يدركوا حجم المصيبة

١٩٧٣ م

العراف الأعمى

قولى من أين ؟

الصمت شصيا ..

والكلمات بلا عينين !

... ..

للمنى الليل .. وأدخلنى السرداب

(قدمائى نسيتهما عند الاعتاب

ويداى تركتهما فوق الأبواب)

انك لا تدريين

معنى ان يمشى الانسان .. ويمشى ..

(بحثا عن انسان آخر)

حتى تتآكل فى قدميه الأرض ،

وينوى من شففيه القول !

الآف الاوجه فى وجهى ..

لكنك لا تدريين

أى وجوه تتدلى منها بسمات الزيف

ضائعة المعنى ، متآكلة الانف

... ..

أرشق فى الحائط حد المطواة

والموت يهب من الصحف الملقاة

أتحزأ فى المرآة

يصفعنى وجهى المتخفى بقناع الدل

أصفعه .. أصفع هذا الظل

تكل الناس يفارقهم ظلهم عند الليل

الا ظلى

ينسل معى ، يتمدد فوق وسادى المبتل !

البسمة حلم

والشمس هى الدينار الزائف

فى طبق اليوم

من يمسخ عنى عرقى فى هذا اليوم الصائف ؟

والظل الخائف

يتمدد من تحتى ، يفصل بين الأرض .. وبينى !

... ..

وتضاءلت كحرف مات بأرض الخوف :

(حاء .. باء ..)

(حاء .. راء .. ياء .. هاء)

الحرف السيف

مازلت أرود بلاد اللون الداكن

أبحث عنه بين الأحياء الموق .. والموق الأحياء

حتى يرتد النبض الى القلب الساكن

لكن .. !!

... ..

وأخيرا عدت

أحمل فى صدرى صمت الطاعة

وبلا .. ساعة

ماجدوى الساعة فى قوم قد فقدوا الوقت ؟

ورجعت بدون كتاب غير كتاب الموت ،

وضجيج الناس

أغنية .. كفطيط نعاس :

« لم نولد لنهز الدنيا »

« لم نخلق لنخوض معارك ! »

« نحن ولدنا ..

للالهام ..

للأحلام ..

للصلوات .. »

...

ضمينى فى صدرك .. حتى اتنبأ

وأنا لا أكتب .. أو أقرأ !!

نجمة السراب

صديقتى شدت على يدي ..
وقالت : لن أزورَ غُرفَتَكَ
إن شئت .. فلنَبْقَ معاً إلى الابد .
ولم أَرُدْ

لأن ثوب العرس — في معارض الأزياء —
نجمة تدور في سراب .
ولم أزل أدقُ باباً بعد باب

وخطوتى تنهيدة ، وأعيني ضباب
حتي بلغت غرفتي في آخر المطاف
وقطنتى تلذذ ...

مواؤها : عذاب أنثى ليلة المخاض

أنثى وحيدة .. تلذذ .
... وأخلد الجيرانُ للسُّكون .

وقطَّهْمَ يجلسُ — في الشباك — ناعس العيون
يلعقُ في فرائِهِ المنقَطَ البَيَّاضُ

يلعقُ — عن فرائِهِ — عذابَ قطنتى الممتدِّ
.. سعت اليه ذات ليلة ،

ولم تسلهُ ثوباً للزفاف !

لأن ثوبَ العرسِ

— في معارض الأزياء —

نجمة تدور في سراب !!

أيدوم النهر

أيدوم لنا بستان الزهر
والبيت الهاديء عند النهر
ان يسقط خائفا في الماء
ويضيع .. يضيع مع التيار
وتفرقنا الأيدي السوداء ..
ونسير على طرقات النار ..
لا نجرؤ تحت سياط القهر
ان نلقى النظرة خلف الزهر
ويغيب النهر .

أيدوم لنا البيت المرح
نتخاصم فيه ونصطلح
دقات الساعة والمجهول
تتباعد عني حين اراك
وأقول لزهر الصيف .. اقول
لو ينمو الورد بلا اشواك
ويظل البدر طوال الدهر
لا يكبر عن منتصف الشهر
آه يا زهر ..
لو دمت لنا ..
أو دام النهر .

مقدمة بقلم الدكتور عبد العزيز المقالح ٥

مقتل القمر ٤٣ .

الاهداء ٤٥ .

براءة ٤٧ .

طفلتها ٥٠ .

المطر ٥٧ .

قلبي والعيون الخضراء ٦٠ .

يا وجهها ٦٥ .

مقتل القمر ٦٨ .

شيء يحترق ٧٢ .

قالت ٧٥ .

ماريا ٧٧ .

استريجي ٨٢ .

العار الذي نتقيه ٨٥ .

رسالة من الشمال ٨٧ .

١٤٩	الموت في لوحات
١٥٣	بطاقة كانت هنا
١٥٧	ظماً .. ظماً
١٦١	الحزن لا يعرف القراءة
١٦٤	بكائية الليل والظهيره
١٦٩	اشياء تحدث في الليل
١٧٢	العشاء الاخير
١٨٠	حديث خاص مع ابي موسى الاشعري
١٨٦	من مذكرات المتنبى
١٩١	تعليق على ما حدث
١٩٣	في انتظار السيف !
١٩٧	فقرات من كتاب الموت
٢٠١	الحداد يليق بقطر الندى
٢٠٥	صفحات من كتاب الصيف والشتاء
٢١٠	تعليق على ما حدث في مخيم الوحدات
٢١٣	ميتة عصرية

٩٢	اوتوجراف
٩٤	شبيبتها
٩٧	العينان الخضراوان
	Petit Terianor
٩٩	الملهى الصغير
١٠٥	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٠٧	ديباجة
١٠٨	بكائية ليلية
١١٠	كلمات سبارتكوس الاخيرة
١١٧	الأرض .. والجرح الذي لا يفتح
١٢١	البكاء بين يدي زرقاء اليمامة
١٢٧	ايلول
١٣١	السويس
١٣٥	يوميات كهل صغير السن
١٤٣	اجازة فوق شاطئ البحر
١٤٦	موت مغنية مغمورة

أقوال جديدة غن - رب البسوس . . . ٣٢١

مقتل كليب . . . ٣٢٣

لا تصالح . . . ٣٢٤

أقوال اليمامة . . . ٣٣٧

مراثي اليمامة . . . ٣٤١

إشارات تاريخية . . . ٣٤٩

تذييل . . . ٣٥٤

أوراق الغرفة (٨) . . . ٣٥٧

الورقة الأخيرة الجنوبي . . . ٣٦٠

ضد من . . . ٣٦٨

زهور . . . ٣٧٠

السري . . . ٣٧٢

لعبة النهاية . . . ٣٧٥

ديسمبر . . . ٣٧٨

الطيور . . . ٣٨٣

الوقوف على قدم واحدة . . . ٢١٨

رباب . . . ٢٢١

حكاية المدينة الفضية . . . ٢٣٣

الضحك في دقيقة الحداد . . . ٢٤١

الموت . . في الفراش . . . ٢٤٨

لا وقت للبكاء . . . ٢٥٥

العهد الآتي . . . ٢٦١

صلاة . . . ٢٦٥

سفر التكوين . . . ٢٦٧

سفر الخروج . . . ٢٧٤

سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس . . . ٢٨١

سفر الف دال . . . ٢٨٦

مزامير . . . ٢٩٨

من أوراق ابونواس . . . ٣٠٨

رسوم في بهو عربي . . . ٣١٥

خاتمة . . . ٣١٨

٣٨٧ الخيول
٣٩٣ مقابلة خاصة مع ابن نوح
٣٩٧ خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين
٤٠٠ بكائية لصقر قریش
٤٠٤ قالت امرأة في المدينة
٤٠٨ الى محمود حسن اسماعيل في ذكره
٤١٣ تذييل
٤١٥ قصائد متفرقة
٤١٧ الى صديقة دمشقية
٤٢٢ عشاء
٤٢٤ البطاقة السوداء
٤٢٩ لا أبكيه
٤٣٢ العراف الاعمى
٤٣٦ نجمة السراب
٤٣٨ ايدوم النهر